الدكتور عماد الدين الخليل



أمريكا مرة أخرى

تصوير

أحمد ياسين





(٢٠)

أمريكا.. مرة أخرى


@Ahmedyassin90

أمريكة.. مرة أخرى

تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90

تأليف



د. عماد الدين خليل


@Ahmedyassin90


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

هذه جملة مقالات أديرت فيها الكاميرا على واقعة أمريكية أخرى في مطالع القرن الحادي والعشرين، تلك هي غزوها للعراق في الربيع الدامي لعام ٢٠٠٣ م.

ما جرى.. وما يجري.. وما سيجري.. تلك هي اللقطات التي تحدثت عنها مقالات الكتاب.

وسكان مكة أدرى بشعابها كما يقولون.. وأحرى بأبناء العراق أنفسهم أن يتحدثوا عن هذا الذي جرى ولا يزال.. لأنه يتشكل قبالتهم صباح مساء.

أمريكة.. مرة أخرى..

ذلك أن المؤلف سبق وأن أفرد كتاباً آخر، وفق المنهج نفسه، للحديث عن (أمريكة) زمن غزوها لأفغانستان بعنوان «مذكرات حول واقعة ١١ أيلول»... ونسأل الله تعالى ألا نضطر لإصدار كتابٍ ثالث عن غزوة أمريكية أخرى، قد تكون محتملة وفق المنطوق الأمريكي الهوبزي نفسه، وفي أية لحظة، للإتيان على هذا البلد أو ذاك تحت غطاء القضاء على الإرهاب، ونشر الديمقراطية، وتأكيد مفاهيم وقيم النظام العالمي الجديد..

لقد اكتوينا بالنار.. وهي ـ إذا أردنا الحق ـ تحرق الجلد واللحم والعظم، ونرجو ألا تكتوي بها بلدان أخرى..

ولكي يتأكد القارئ من هذا الذي نقول، فإن عليه أن يتابع مقالات هذا الكتاب..

ومن الله وحده التوفيق والسداد..

الموصل: في تشرين الثاني ٢٠٠٥م




أمريكة والعراق.. ما جرى وما سيجري

١

ها هي ذي ورقة التوت الأخيرة تسقط عن الجسد الأمريكي المتقرّح فيتعرّى أمام العالم. . الويسترن الأمريكي يظهر مرة أخرى ليعتقل الكلمة في الصدور وليجعل الرصاص وحده هو الذي يتكلم. . والحبال التي كان رعاة البقر يلوّحون بها للقطعان، هي نفسها التي يريدون بها اللحظة أن يسوقوا الأمم والشعوب إلى ما يريدون هم لا ما تريده تلك الأمم والشعوب.

تمثال الحرية المنتصب عند حافات نيويورك يسقط هو الآخر. . ويُدسّ أنفه ووجهه في بحيرات النفط الأسود لكي يرتشف منها حتى الثمالة فتتفحم ملامحه وتصير بلون القار. .

القرصان الأمريكي الأحمر يجوب البحار متسلطناً في بوارجه العملاقة وأظافره الملوّثة باليورانيوم، وأنيابه الذرّية التي تنذر بالويل. .

هاهم أحفاد المكتشفين الأوائل. . الغزاة الأوائل. . يمضون إلى أهدافهم بالمنطق نفسه: أنت تقتل الآخر فأنت موجود!

من أجل ذلك لم يصيخوا سمعهم مطلقاً لكل الأصوات التي أحاطت بهم من كل مكان، متوسلة إليهم ألّا يندفعوا وراء إغراء القوة فيمارسوا الذبح المنفلت عن كل الضوابط الدينية والخلقية والإنسانية. . فلم يلتفتوا إليها.

الدول والحكومات والمؤسسات والجماعات والشعوب.. بل حتى الشعب الأمريكي نفسه، رمت بنفسها جميعاً صوب (الكلمة) التي كانت في البدء، والتي يظل بمقدورها أن تصنع المصائر والمقدرات.. ولكن القرصان الأحمر أبى إلّا اعتماد السيف حكماً بينه وبين المستضعفين في الأرض.

الأمريكي الذي قدر حتى بداية الستينيات من القرن الماضي على الاحتفاظ بإعجاب من يسمّونهم بأحرار العالم.. ما لبث أن كشف عن وجهه القبيح بعد سنتين أو ثلاث.. إذ ما لبثت حرب فيتنام أن شهدت واحدة من أبشع المذابح البشرية في التاريخ..

وما بين حرب فيتنام والهجوم الضاري على العراق ازدادت الدمامل والتقرحات في الوجه الأمريكي، وازداد دمامة وقبحاً، ولم يعد أحد يحبه أو يميل إليه، أو يقول: هاهو ذا حامي الحرية في قارات الدنيا الست!

حتى الأمريكيون أنفسهم كرهوا أنفسهم عندما رأوا كيف أن أولئك الذين منحوهم أصواتهم.. خانوا الأمانة.. ولم تعد تهمهم المصالح العليا لأمريكة بقدر توظيف فرصتهم في الحكم لحماية مصالحهم المادية، والانحناء للوبي اليهودي الذي يعرف كيف يمتص الدم الأمريكي، ويمارس مع الحكام الكبار لعبة: أعطني لكي أعطيك..

يقيناً سيجيء اليوم الذي تتكشف فيه أمام المواطن الأمريكي أبعاد اللعبة، وسينتفض يومها محاولاً أن يمنع الانحدار نحو الهاوية وأن يوقف مافيات الرئاسة القابعة في البيت الأبيض من أن تجرَّ أمريكة ومصالحها العليا إلى الدمار من أجل حفنة من الدولارات..

يقيناً سيجيء اليوم الذي تتكشف فيه الخدعة اليهودية الكبرى في اختراق المسيحية البروتستانتية بالخرافات والأساطير التي قامت عليها الحركة الصهيونية وسياسات «إسرائيل».. وها هي ذي توظف سياسات أمريكة

نفسها في السياق ذاته.. لخدمة المصير اليهودي في العالم تحت شعار: هرمجدون.. المعركة الفاصلة واليوم الموعود!

ولكن بعد كم سينكشف هذا كلّه، وينهض الأمريكي الذي خدع طويلاً وابتز كثيراً لكي يقف في مواجهة السرطان الذي يحاصر دينه ودنياه؟ وكم سيذبح الطاغوت الأمريكي من الأمم والشعوب، ويبتزّ من ثرواتها ومقدراتها، قبل أن يوقفه المواطن الأمريكي نفسه عن المضي باللعبة الخطرة إلى نهايتها المفجعة؟

ثمة أهداف ستة تجعل البيت الأسود يتحدَّى الإرادة الدولية ومؤسساتها، ويصمّ أذنيه عن نداءات ملايين المتظاهرين داخل أمريكة وخارجها، ويمضي لكي يشن حربه الفاجرة ضد العراق، ويوظف آلته الجهنمية، وفق أكثر وتائرها قسوة ولا إنسانية لتحقيق هدفه..

لنتابع هذه الأهداف واحداً بعد الآخر بالإيجاز المطلوب الذي تسمح به صفحات كهذه.. ورغم أنه قد قيل فيها الكثير فإنها تتطلب المزيد.

٢

نفط العراق.. هذا هو أول الأهداف.. أضخم خزين احتياطي في العالم طبقاً لآخر الكشوف الحقلية.. إن وضع الذراع الأمريكي عليه يحقق لأمريكة ومافياتها المالية والسياسية والأمنية المتسلّطة، ثلاثة منافع بعضها محدود عاجل وبعضها استراتيجي شامل.

على المستوى الأول يجيء المردود مباشرة لكارتل النفط العملاق الذي تملكه وتديره الطغمة المتربعة في البيت الأبيض منذ أواخر ٢٠٠١م، بوش الابن (ومن قبله الأب) ونائبه دك تشيني ووزير دفاعه رامسفيلد ومسؤولة أمنه القومي رايس.. وأيضاً لشركات النفط الأمريكية الأخرى التي قدمت ـ جنباً

إلى جنب مع أرباب معامل السلاح ـ لبوش ومجموعته من الرشاوى والعمولات ما جعلهم يصرّون على اعتماد القوة واحتلال العراق.

هذا إلى ما تعانيه موازنات المالية الأمريكية والدخل القومي من عجز أخذ بالتزايد سنة بعد أخرى فيما يمكن أن يعالج جانباً كبيراً منه المردود المالي لنفط العراق.

على المستوى الاستراتيجي بعيد المدى، فإن وضع اليد على خزين العراق سيديم عجلة المدنية الأمريكية وآلياتها لمُدَدٍ زمنية متباعدة قد تتجاوز القرن من الزمن، وقد يعينها على التفرّد بقطبيّتها الأحادية من خلال الإمساك برقاب دول الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين واليابان عن طريق التلويح بسلاح النفط، أو ما يمكن اعتباره الأمن النفطي..

هذا إلى أن فرض السيطرة الأمريكية على العراق، سيجعل أمريكة قريبة من منابع النفط، واحتياطاته، في منطقة الخليج العربي التي ستشكل مع العراق معظم احتياطي نفط العالم كلّه، وسيمكن أمريكة من رفع عصاها الذريّة فوق كل الرؤوس التي منحتها ما تريد أو استعصت عليها.

عدة عصافير نفطية بحجر واحد، فكيف لا يصرّ البيت الأسود على أن يرسل قواته إلى العراق لكي تستحم في بحيرات النفط الأسود؟

إن دراسات الخبراء في أحدث معطياتها تشير إلى أن الاحتياطي النفطي العراقي هو أكبر احتياطي في العالم، خلافاً لما يعلن من أن احتياطي أرامكو هو الأكبر. ولقد كادت فرنسة وألمانية أن تحصلا على امتياز الاستثمار في حقل مجنون العملاق جنوبي العراق في أواخر الثمانينيات، ولكن حرب الخليج الثانية فوّتت الفرصة عليهما، ثم ما لبثت أمريكة أن فرضت نفسها عالمياً كقطب أوحد لا معارض له، وأرخصت أسعار النفط بما يحفظ مصالح ميزانيتها، حتى قال بعض خبراء النفط العرب: إن ما فقدته

البلاد العربية عبر الأسعار المنخفضة عن المقدار الواجب اللائق، يقدر بأكثر من ألف وخمسمئة مليار دولار خلال هذه السنوات الأخيرة بعد حرب الخليج الثانية. ثم ها هي ذي أمريكة تندفع اليوم لإكمال سيطرتها على نفط العالم بعامة ونفط العراق والخليج بخاصة، وتجعل ذلك ركناً في خطتها الاستراتيجية إلى بوش الابن قبل انتخابه بستة أشهر. إذ إن العالم بعد سبع سنوات من الآن سيستورد من العراق فقط ربع كمية الاستهلاك اليومي، ومن الخليج نصف الكمية. فإذا أخذنا في الاعتبار أن نفط إيران مستهدف من قبل أمريكة، ونفط الجزائر وليبية والسودان، فإن اعتماد العالم في المستقبل سيكون بصورة تامة على النفط العربي إلا قليلاً.

ومن الأسرار التي لا يعلمها إلا قليل من الناس أن أمريكة قد اكتشفت من قبل أن السودان كله يطفو فوق بحيرة من النفط، لكنها لم تستخرجه وتركته ليكون الاحتياطي الرئيس إذا اضطربت أحوال الخليج وأغلقت قناة السويس، وكان في خطتها أن تستخرجه وتمدّ أنبوباً يوصله إلى سواحل غرب إفريقية ليشحن إليها بحريّة عبر المحيط بعيداً عن المضايق، فجاءت حكومة الإنقاذ الإسلامي في السودان، وتحدّت الإرادة الأمريكية وبدأت في استخراجه قبل أوانه الذي حددته الاستراتيجية الأمريكية. ومن ثم كان الغضب الأمريكي على السودان. ولعل أمريكة بعد إنجاز حربها واحتلال العراق، سيكون أول بلد تصب عليه غضبها هو السودان، لوقف عمليات الاستخراج والاحتفاظ بنفط السودان كاحتياطي مستقبلي يوفر لها الطاقة.

كذلك تشير دراسات الخبراء إلى أن أمريكة لا تريد احتكار نفط العراق فحسب، بل واستخدامه كسلاح سياسي فعال، ليس تجاه دول العالم الثالث فقط، بل وتجاه دول أوربة الكبرى أيضاً، بحرمانها من شرائه إذا حدثتها نفسها بالتمرد على الإرادة الأمريكية.

ولقد كشف سقوط طائرة الإغاثة في باكستان قبل فترة وجيزة، خطة أمريكية سريّة لوضع هندسة مرور أنابيب النفط والغاز من آسية الوسطى عبر أفغانستان وصولاً إلى الخليج، مما يعتبر الهدف الرئيس من غزو أمريكة لأفغانستان مغطية إياه بدثار مقاومة الإرهاب.

وجاء في تصريح لبوش أن آبار النفط العراقي ستكون وديعة عند أمريكة لحساب الشعب العراقي بعد تحريره!! فيما يذكر بأكذوبة بريطانية عندما غزت فوكلاند قبل عشرين سنة تحت شعار: توريد الديمقراطية إلى الأرجنتين، وهي الآن تستخرج النفط من تلك الجزيرة النائية التي دهش المغفّلون من اهتمام بريطانية بها يومذاك، وصار المثل الفوكلاندي واضحاً في قيادة حروب النفط بشعارات التباكي على الديمقراطية..

وبداية اللعبة أخذت تكشف عن نفسها منذ لحظات الغزو الأولى للعراق، بل قبل تنفيذه بأسابيع: إن نفقات الغزو، على ضخامتها الأسطورية ستسترد من العائد المالي لنفط العراق!!

هل شهد التاريخ قرصنة كبرى كهذه، أن تغزو بلداً وتدمّر مقدراته وتقتل شعبه، ثم تفرض عليه أن يدفع لك من أمواله، نفقات الحرب التي أجهزت بها عليه؟!.

٣

تفكيك العراق.. والإنسان في العراق.. هذا هو الهدف الآخر للحرب.. وهو أشد وأنكى.. فإن النفط قد يعوّض بمعادن أخرى وقدرات زراعية هائلة يعد بها العراق بما يتمتع به من ثروات معدنية ومائية لم يستثمر منها لحدّ الآن سوى أقل من القليل: الكبريت والفوسفات واليورانيوم والزئبق الأحمر والمياه الجوفية والتربة الخصبة وشبكة الجداول والأنهار.

لكن ما لا يمكن تعويضه، في المدد الزمنية المنظورة على الأقل، هو العراق نفسه، وشعبه، والإنسان المواطن فيه.. بما يتميز به هذا الأخير الذي يخفق ويتحرك على خارطة العراق، من إيمان ونبل وجديّة، وذكاء وشهامة وثقافة وقدرة على التعلّم قلّ نظيرها لدى شعوب العالم الثالث.

ويقف في قمة هذه المنظومة من المزايا: النزوع الديني الأصيل في تكوين المواطن العراقي والذي قادهُ ويقوده إلى حمل هموم الأمة الإسلامية على أكتافه، وبذل الغالي والرخيص في سبيلها، والعداء المتأصّل في عقله ووجدانه ضد كل ما يمتّ للاستعمار بشتى صيغه وللصهيونية ودولتها «إسرائيل».. والآن وعبر العقدين الأخيرين: ضد كل ما هو أمريكي يسعى للتفرّد بالمصائر والمقدّرات وفق نزعة مصلحية صرفة تتحرك منفلتة عن كل ما يمت للقيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بأيما صلة على الإطلاق..

وما قدّمه العراقيون، من مدنيين وعسكريين، للقضية الفلسطينية منذ بداياتها الأولى وحتى اللحظات الراهنة، ربما يكون أحد أسباب إلحاح الإرهابي شارون على زميله الإرهابي الآخر بوش لشن الحرب على العراق.

وبمجرد إلقاء نظرة طائر على المدن العراقية في ساعات الصلاة، سيجد المرء نفسه أمام حشود لا تعدّ ولا تحصى، تتدفق على الجوامع والمساجد في كل مكان.. والذين يذهبون متأخرين بعض الوقت إلى هذا المسجد أو ذاك لسماع محاضرة أو حضور مناسبة لا يكادون يجدون لهم موطئ قدم حتى في أروقة المسجد وحدائقه.

والصحوة الإسلامية في العراق تمضي لكي تنشر الحشمة والحجاب، وتزرع الفضيلة وقيم السلوك الوضيء الملتزم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.. ولكي تمارس شبكة من الأنشطة الدعوية بين الرجال والنساء والأطفال، تعد بتحوّل مجتمع بكامله إلى ما يريده هذا الدين..

هذا كلّه تسعى الهجمة الأمريكية الشرسة لاغتياله، باعتماد أي أسلوب مهما كان بعيداً عن بداهات القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية. .

ومن جرّب ليس كمن لا يجرّب، فإن الكميات الأسطورية لليورانيوم التي صبّتها الطائرات الأمريكية على العراق في حرب الخليج الثانية ساقت أجيالاً من العراقيين إلى الموت، أو ما يوازيه ويؤذن به من دمار جسدي ونفسي. . ولا تزال آثارها تعمل في افتراس الإنسان هناك، وربما إلى مُدد زمنية قد تطول كثيراً.

إن نصف مليون طفل يتعرّض للتشوّه أو الموت، وإن ارتفاعاً مخيفاً في نسب الإصابة بالسرطان لهي الشاهد العدل على ما نقول. . والبقية تأتي. .

والذي سيتمخض عن حرب بوش الابن سيكون أكثر شؤماً بكثير، وزبانيته استخدموا ـ دونما أي رادع إنساني على الإطلاق ـ اليورانيوم المنضّد، وأم القنابل ذات الأطنان التسعة، والقنابل العنقودية، والصواريخ التي لا تخطئ وتصيب. .

والحق أن الأهداف النفطية والسياسية التي تريد أمريكة الوصول إليها عبر الحرب، تعتبر ثانوية بالنسبة إلى الهدف الرئيس الأهم المتمثل في محاولة تحطيم العراق وجيشه، وتدمير البنية الصحية والنفسية المعنوية للشعب العراقي. .

ولقد صمّمت أمريكة مواصفات حصار العراق وامتداد وقته بحيث تحصل حالة سوء تغذية في عموم الشعب طويلة الأمد تؤدي إلى وهن عام وإحداث طفرة وراثية تنتج المرض المنغولي وأنواع الإعاقة والتخلّف إلى درجة يضمر معها الذكاء وعموم مستلزمات الأداء الحربي لشعب العراق، وتحصل حالة انكفاء عام واهتمام بالآلام، فينام اليهود عندئذ بأمان. . ولكن الله سلّم وشاءت حكمته أن يكون التمر الكثير في العراق أفضل غذاء

غني بأنواع المعادن والفيتامينات، فأنجد أهل العراق، وفشل الحصار في تحقيق هدفه، وصار تحطيم هذا الشعب من مهمات الحرب الاستعمارية الأمريكية الجديدة، بحيث صممت لنشر الموت الذريع في هذا الشعب الأبي، أو الإعاقة الدائمة عبر استعمال آلاف الصواريخ والقنابل الذكية الليزرية، وقنابل أخرى تسمى قنابل المايكروويف تعطل جميع الأجهزة الإلكترونية وتحرق جلود الناس.. مما يؤيد الشكوك في أن الحرب إنما تراد لتحطيم الشعب والبنية الصحية والطاقات الصناعية والزراعية، وحرق النخيل الذي يتحدى التجويع، ثم تتولى خطة إفقار العراق على المدى الطويل لإتمام المهمة الشريرة حيث تكون الكارثة الصحية ويحصل الانهيار المعنوي. ولقد صرح مدير برنامج الغذاء العالمي بأن المتوقع أن الحرب ستصيب ما بين خمسة إلى عشرة ملايين عراقي بنقص الغذاء، وأن جمعيته لا تستطيع إلا مساعدة تسعمئة ألف فقط!!

٤

وثمة السياق الآخر للتفكيك والذي سيسعى إلى نزع الهوية الإسلامية للشعب العراقي عبر المناهج الدراسية والتلقين الإعلامي الكثيف وغرس تربية غربية جاهلية بديلة، أمريكية الأنماط والأذواق، وفرض هزيمة معنوية وشعور باليأس واستسلام للعدو، بل وإعجاب برؤيته المادية المنفعية الصرفة للحياة والوجود، ولوظيفة الإنسان في العالم.

وهناك، إلى جانب هذا، السكين الأخرى: تقسيم العراق على مرحلتين عبر تكوين الفيدراليات التي يتطور أمرها بعد سنوات إلى الاستقلال، حيث تنصرف كل دويلة إلى همومها الداخلية، تنسى هموم الأمة، ومكائد الاستعمار، وأفاعيل «إسرائيل» النكراء في الساحة الفلسطينية.

هذا إضافة إلى البعد التدميري للزراعة، فإن أمريكة تريد تعميم استخدام الحنطة كسلاح ضغط على جميع الأمم، مارسته بنجاح في إسقاط الاتحاد السوفياتي، وتمارسه اليوم تجاه مصر حيث لا تفرّغ بواخر الحنطة الأمريكية حمولتها في الموانئ المصرية إلا بعد فراغ المخزون المصري واضطرار القاهرة لتقديم تنازلات سياسية.

وقد ثبت أن «إسرائيل» بعد معاهدة كامب ديفيد قد استخدمت مجالات التعاون الزراعي مع مصر لتدمير النظام الزراعي المصري الموروث، وإفساد التربة، وتسميم الأسمدة من أجل تجويع الشعب المصري وتسويق الحنطة الأمريكية.

وفي ضوء ذلك كله فإن تدميراً أمريكياً لمنتج الحنطة العراقي، والزراعي بشكل عام، يوشك أن يكون، لطعن خطة الأمن الغذائي العراقي والتحوّل إلى الاعتماد على الحنطة الأمريكية التي لن تكون بغير ثمن سياسي جديد مع كل شحنة تصل الميناء.

ومع هذا وذاك هناك الاستنزاف المالي، والإفقار الطويل الأمد.. إذ يتحتم على العراق أن يدفع تعويضات للكويت وغيرها تزيد على مئتي مليار دولار، وأن يدفع لأمريكة نفقات الحرب التي تبلغ أكثر من مئتين وسبعين مليار أخرى. ولو أضيفت إليها مديونيات العراق لروسية وغيرها يكون عليه أن يدفع أكثر من خمسمئة مليار دولار مع فوائدها، مما يجعل ثلاثة أجيال عراقية قادمة أو أربعة تعيش تحت خط الفقر المدقع وبلا أمل ولا عمل حتى نهاية القرن الحادي والعشرين. ويزداد الضرر عبر سريان الاستنزاف إلى الدول العربية التي أعلنت البنوك فيها فقط أنها ستخسر ستين مليار دولار بسبب الحرب. وكل ذلك يشكل كارثة إنسانية لم تقع في الحياة البشرية بهذا الحجم عبر طرق الضغط السياسي الدولي.

ولن ننسى ـ كذلك ـ كارثة الابتزاز المائي. فالماء بند رئيس في الخطة الأمنية الإسرائيلية، إذ هي برغم تفوقها العسكري توشك أن تختنق عطشاً، وسيتبع احتلال العراق احتلال سورية أو إجبارها على توقيع معاهدة صلح مع «إسرائيل» يكون من أهم بنودها السماح بمدّ القنوات أو الأنابيب عبر أراضيها من تركية إلى «إسرائيل» لنقل معظم مياه الفرات ودجلة إليها. والذين سيعطشون في المستقبل هم العراقيون الذين يُعد بلدهم من أغنى دول العالم في ثروته المائية.

ثم..

من هو الذي سيتولى الإشراف على هذا الدمار كله، ويحكم العراق رغماً عن الادّعاءات الكاذبة بمنح العراقيين الحرية والديمقراطية؟

إنه (جاي جارنيز) الجنرال المتقاعد الذي اختاره رامسفيلد ليكون الحاكم المدني للعراق بعد الحرب، وهو جنرال مقرّب من صقور الإدارة الأمريكية، ومن اللوبي الصهيوني الأمريكي، ومن حزب الليكود الإسرائيلي، وله ارتباطات بالمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي «جينسا». وكان آمراً لوحدة صواريخ باتريوت الأمريكية في «إسرائيل» خلال حرب الخليج الثانية (١٩٩١م)، وتولى بعد ذلك قيادة الدفاع الصاروخي والفضائي، وهو يملك شركة لصناعة الصواريخ تستفيد من نفوذه، ويحيل إليها طلبات شراء الصواريخ في قضايا مفتوحة ساعدت إدارة بوش على إغلاقها!!

٥

وهذا هو هدف آخر للحرب: تصفية القضية الفلسطينية بعد أن استعصى الفلسطيني على بني «إسرائيل» في واحدة من أشد الملاحم في تاريخ البشرية إثارة للدهشة والإعجاب.. ملحمة ينعدم فيها تماماً التكافؤ بين الطرفين..

ومع ذلك تواصل الاستمرار، وترتفع وتائرها يوماً بعد يوم، وتكسر حاجز السنتين، وتمرّغ أنف الإرهابي شارون، وتسقط وعده الكاذب بإنهاء الانتفاضة في مئة يوم! وتلحق بـ«إسرائيل» المغتصبة الخسائر المتلاحقة في الأنفس والأموال، وتدمّر الأمن الإسرائيلي، وترغم اليهود على القيام بهجرة جماعية مضادة على النقيض تماماً مما يريده الليكود ويحلم به كهنته بخصوص «إسرائيل» الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل.

هاهي ذي الحرب الأمريكية على العراق تفتح الأبواب على مصاريعها أمام الطاغوت الإسرائيلي لكي يذبح الفلسطينيين ويدمّر بنيتهم التحتية على هواه، ويتوعدهم بالتهجير..

إن هدف أمريكة المعلن هو إزالة الأسلحة العراقية الهجومية المتقدمة (التي تسميها كذباً وزيفاً أسلحة التدمير الشامل)، والتي تشكل تهديداً لـ«إسرائيل»، مما يؤكد قيام أمريكة بهذه الحرب، في جانب منها، نيابة عن «إسرائيل»، خوفاً من احتمالات المستقبل.

وأمريكة إذا أتيح لها الإمساك بزمام العراق فإنها ستواصل منع صناعة السلاح العراقي المتطور، وتحجيم قدرات العراق العسكرية، وتصفية تشكيلاته المقاتلة، وذلك كله من أجل منح الغطاء الأمني الذي تحتاجه «إسرائيل» لتدمير المقاومة الفلسطينية، وتمرير سياسات التطبيع والاختراق، انتهاءً بعقد الصلح معها.

لابدّ من تدمير القدرات العسكرية للجيش العراقي لكي يصبح عاجزاً تماماً عن دخول حرب مع «إسرائيل».. وأمريكة ـ مرة أخرى ـ تقوم بهذه المهمة نيابة عن «إسرائيل»، حيث يجد اليهود في التلمود أن خراب دولتهم الثانية هذه سيكون على أيدي جند أولي بأس شديد يخرجون من أرض بابل كما خرج نبوخذ نصّر الذي خرّب دولتهم الأولى قبل آلاف السنين وساقهم أسرى.

وإمعاناً في الاحتياط وفي تحقيق الأمن الإسرائيلي بصورة تامة، تجنح الخطة الأمريكية إلى استثمار الانتصار الحربي لإجبار الحكومة العراقية العميلة التي سينصبونها على انتهاج ثلاثة خطط سلبية تمنح «إسرائيل» أمنها الملحّ:

أولها: الاعتراف الرسمي بـ«إسرائيل» وعقد معاهدة معها على غرار معاهدات السلام التي وقّعها السادات وغيره، والقبول بالتطبيع السياسي والاقتصادي والاجتماعي مع اليهود، وبذلك تتوفر حماية دائمة لـ«إسرائيل» وفق القانون الدولي، وأنظمة الأمم المتحدة، وحلف الناتو، تمنع العراق من شن حرب في المستقبل على «إسرائيل»، أو إلحاق أي نوع من الأذى بها مهما صغر، والجدير بالذكر أن رسائل كوندا ليزا رايس، مستشارة الأمن القومي الأمريكي، إلى أقطاب المعارضة العراقية، اشترطت عليهم صراحة وجوب الاعتراف بـ«إسرائيل».

وثانيها: تسريح الجيش العراقي وبعثرة خبرته القتالية، وتشتيت معادنه القيادية، ونزع أسلحته، ومنع احتمالات تطويرها. وهذا واضح أيضاً في رسائل مستشارة الأمن القومي، وفيه ما فيه من توفير الأمن لـ«إسرائيل».

أما **ثالث** الخطط: فهو تقسيم العراق فوراً، وبلا مقدمات، وعلى مرحلتين، عبر تكوين الفيدراليات التي يتطور أمرها بعد سنوات إلى انفصال تام يمزق العراق إلى ثلاثة كيانات هزيلة في الجنوب والوسط والشمال.

وبذلك تتضح خدمة خطة التقسيم، وتسريح الجيش، وتقنين السلاح، لعملية تحطيم الشعب العراقي جسدياً ونفسياً كركن من أركان الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية كما رواها قبل ما يقرب من نصف قرن الصحفي الهندي (كارنجيا) في كتابه (خنجر إسرائيل) نقلاً عن بعض رؤساء الدول وقادة «إسرائيل» أنفسهم.

ومرة أخرى لابدّ من التذكير بأن رامسفيلد اختار الجنرال المتقاعد (جاي جارنيز) ليكون الحاكم المدني للعراق بعد الحرب، وهو جنرال مقرب من اللوبي الصهيوني الأمريكي، ومن حزب الليكود الإسرائيلي، وله ارتباطات بالمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وكان آمراً لوحدة صواريخ باتريوت الأمريكية في «إسرائيل» خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م.

٦

وثمة أخيراً وليس آخراً، فرض الإرادة والمصلحة والثقافة الأمريكية على العالم، وتأكيد النظام العالمي أحادي القطبية، وتسخير العولمة لتحقيق هذه الأهداف كافة.

إن السبب الذي تتستّر وراءه أمريكة من زعمها إزالة أسلحة التدمير الشامل للعراق، يختلط بالمصالح الأمريكية المحضة الهادفة إلى فرض هيمنتها وسيطرتها العسكرية والأمنية والسياسية والثقافية والاقتصادية، على المنطقة العربية كلها، وبقية العالم الإسلامي، تبعاً لخططها الاستراتيجية التي حدّدت مفهومها للنظام العالمي الجديد والعولمة ذات القطب الواحد.

وتشير دراسات الخبراء إلى أن أمريكة لا تريد احتكار نفط العراق فحسب، بل واستخدامه كسلاح سياسي فعّال، ليس تجاه دول العالم الثالث فقط، بل وتجاه دول أوربة الكبرى أيضاً بحرمانها من شرائه إذا كانت تشاكس أمريكة وتتمرّد على سياساتها، وهذا هو جانب من سرّ الموقف الذي اتخذته فرنسة وألمانية وروسية من رفضها للحرب، بل وإعلان بعضها أنه سيعتمد حق النقض (الفيتو) لإجهاض القرار الأمريكي بتمرير الجريمة ضد العراق تحت غطاء الشرعية الدولية.

ولسوف يكون العراق حقلاً لإشاعة النموذج الأمريكي في الحياة، والفلسفة المادية النفطية التي بني عليها المجتمع الأمريكي الراهن وسوف

تلغى المدارس الإسلامية، وتبدّل مناهج التربية الإسلامية كلها بما يخدم ويؤكد هذا التوجّه.

وكانت معاهدة كامب ديفيد قد أتاحت تخريج ثلاثة آلاف طالب دكتوراه مصري، بمنح دراسية من جمعيات صهيونية أمريكية، تركتهم يؤمنون بالسلام والتطبيع، وتحقّق بذلك اختراق يهودي كبير لفئة المثقفين المصريين الذين وقفوا مواقف بطولية واعية ضد التطبيع بقيادة الإسلاميين.

وهؤلاء الذين خرجتهم المنح الدراسية الصهيونية، مدّخرون لإحداث هذه النقلة الثقافية التي تريد أمريكة تطبيقها، بعد الحرب، في العراق وعموم العالم العربي. والمخفي أعظم من المعروف، وأغلب الظن أن قمعاً لكل الحركات الإسلامية ستمارسه المخابرات الأمريكية ضمن ترويج هذا النموذج الثقافي المادي، وتتم محاصرة كل داعية وعالم ومفكر وباحث وأديب، ويسود زمن النكرات والخونة والمهازيل..

وتشاء إرادة الله سبحانه أن يبدأ بالتشكل قطب دولي ثانٍ منافس لأمريكة، من فرنسة وألمانية وبلجيكة وروسية، وهو أمر ضروري لكبح جماح أمريكة وإنهاء انفرادها بالعالم، ومجابهة مفهوم النظام العالمي الجديد وخطط العولمة. لقد أفرز الاندفاع الأمريكي الأرعن وراء إغراءات القوة والتجبّر في الأرض، طرفاً جديداً ينافس واشنطن ويقود تكتلات أخرى في آسية والعالم الإسلامي وبعض دول العالم الثالث التي تعاكس الكبرياء الأمريكية وحلفها الاستراتيجي مع «إسرائيل».

وخبراء السياسة يجمعون اليوم على أن الغرور الأمريكي سيتضاعف ويسعى إلى إفقار العالم كله، ما لم ينشأ هذا القطب الدولي الثاني الذي يتحدى ويقول: لا للصلف الأمريكي.

والأمة الإسلامية اليوم تعيش حالة ضعف سياسي وعسكري واقتصادي، ومن حسن السياسة أن تكون هناك منهجية متدرجة توصل إلى موقع قوي عبر سلسلة من المناورات والتحالفات تتيح لها تخفيف القبضة الأمريكية، وتبقى تكرر محاولات التفلّت إلى حين حصول الانكفاء الأمريكي يوماً من الأيام، وهو قادم بإذن الله، تشير إليه قوانين التاريخ وظواهر سقوط الحضارات، وتؤكده مشاكل الجريمة والمخدرات والتردّي الأخلاقي، وبداية انحدار المؤشر الاقتصادي بعد بلوغه الذروة. وأهم من ذلك كله شيوع كراهية أمريكة وانتشار وعي سياسي كاشف لسوءاتها وجرائمها لدى معظم شعوب الأرض، فضلاً عن معظم الأحزاب الليبرالية واليسارية في العالم أجمع، ومعظم النقابات العمالية والاتحادات الطلابية، والتي شهدت لها المظاهرات الضخمة في أرجاء العالم. بل حتى الجيوش الأوربية أصبحت رافضة لمنطق الحروب العدوانية، وقد ظهر ذلك جلياً في اجتماع حلف الناتو، ويقال: إنه ليس في الجيش البريطاني جنرالٌ واحدٌ يؤيد موقف بلير، وهم يرفضون الحرب جميعاً، بل وحتى داخل أمريكة تتعاظم المعارضة للحرب، وقبل شهرين فحسب كانت ٩٥٪ من رسائل المواطنين إلى أعضاء الكونغرس تعارض الحرب، هذا إضافة إلى مليون مكالمة هاتفية من المواطنين الأمريكيين المعارضين عطلت خطوط هواتف الحكومة كلها!!

آلام السيد المسيح (عليه السلام)

أخيراً يتمرّد الوجدان المسيحي الأمريكي على محاولات التزوير والتزييف اليهودية التي سعت منذ منتصف القرن الماضي، وبضراوة محمومة، لاختراق المسيحية، وتغيير ثوابتها الدينية، والطمس عليها، وإلغائها.

في يوم ما كان حكماء بني صهيون قد اخترقوا الفاتيكان الكاثوليكي، وتمكنوا في ستينيات القرن الماضي من إقناع البابا، ومعظم الكرادلة المحيطين به، من إصدار الوثيقة المعروفة بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح (عليه السلام).

فيما بعد مضوا لكي يحققوا إنجازاً لا يقل عنه أهمية وخطورة.. لقد اخترقوا البروتستانتية بأسطورة «الهرمجدون» حيث العقيدة المضلّلة القائلة بعدم نزول أو عودة السيد المسيح إلى العالم إلّا من خلال دولة «عبرية» في فلسطين!

وبمرور الوقت راح النسيج الأسطوري يتكاثف حول هذه الخديعة، واستطاع بقوة المكر الصهيوني أن يغوي العديد من مفكري القوم هناك في أمريكة.. وكبار ساستهم بالانضواء تحت هذه العقيدة (المسيحية المتصهينة) أو الصهيونية المسيحية، وتحوّلهم إلى دعاة للأسطورة، بما فيهم عدد من رؤساء الولايات المتحدة أنفسهم بدءاً من (نيكسون) مروراً بـ (ريغان) وانتهاء بـ (بوش) الابن، حيث ذبحت فلسطين والقضية الفلسطينية، عبر واحدة من

أكثر الجرائم في التاريخ الحديث بشاعة ولا أخلاقية.. رغم تعارض معطياتها مع الثوابت الحزبية داخل الساحة الأمريكية نفسها، ومن بينها، فيما هو معروف في برامج الحزب الجمهوري، إقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل.

لكن الشعب الأمريكي كما يبدو.. ضمير الجماهير المسيحية في الساحة الأمريكية، وبخاصة الكاثوليكية، أبت أن تذهب مع اللعبة الصهيونية إلى المدى، وظلت تختزن في ذاكرتها الدينية تلك الثوابت العقدية المؤكدة في التراث الديني الكاثوليكي بخصوص الدور الغادر لليهود إزاء السيد المسيح (عليه السلام).

ها هو الضمير المسيحي يومض بالانتفاض، على ضآلة المساحة التي عكست هذا الردّ، وذلك من خلال الإقبال المتزايد الذي ضربت فيه الأرقام القياسية لمبيعات التذاكر من أجل مشاهدة فيلم (آلام السيد المسيح) الذي عرض دفعة واحدة في عشرات دور العرض السينمائي.

والفيلم من إنتاج الممثل والمخرج الأمريكي الشهير (ميل جيبسون) وهو يصوّر حياة السيد المسيح (عليه السلام) في آخر ١٢ ساعة حسب معتقدات المسيحيين. وهو يعرض لليهود على أنهم السبب في تعذيب المسيح (عليه السلام) (وقتله) ويظهر اليهود في منتهى البشاعة والقسوة.

وقد أحدث الفيلم ضجة كبيرة بين اليهود، وصرحت منظمتهم التي تدافع عن السامية (ADL) بأنه «أخطاء تاريخية واضحة»!! وأنها «وجدت الفيلم غير دقيق تاريخياً، وأنه يشوه الروايات الحقيقية، وأن الغرض منه هو إظهار صورة سلبية عن اليهود».

يجيء هذا بعد أن استطاع اليهود أن يعبثوا بالعقل الغربي وأن يصوّروا أنفسهم على أنهم «المنزهون عن كل عيب» حيث لم يعد بمقدور أحد

المساس بهم، ومن يتجرأ يتعرض للمقاضاة في المحاكم علناً، حتى صدر في بعض الدول الأوربية قانون يعاقب كل من يحاول مجرد البحث التاريخي في قضية من مثل (الهولوكست) المزعومة.

أخيراً، يبقى علينا كمسلمين أن ننبّه إلى واحدة من أكثر الحقائق الدينية والتاريخية ثقلاً وتأكيداً فيما يقصّه علينا كتاب الله؛ حيث إن المسيح (عليه السلام) لم يصلب ولم يقتل وإنما رفع إلى السماء.

ومن وراء ذلك ثمة النيّات اليهودية الماكرة التي أرادت فعلاً تسليم السيد المسيح للقتلة الرومان، لولا أن الله سبحانه شبَّهَ لهم وحماه من المحاولة الغادرة.

إن الفيلم المذكور يحمل دلالته ولا ريب.. ويقيناً فإن محاولات الانتفاض والردّ ستزداد مساحتها يوماً بعد يوم، وسيرتد كيد الصهاينة اليهود إلى نحورهم، وتستيقظ الجماهير المسيحية في العالم على صوت ضميرها الديني بعد أن عانى من الكبت والقهر والتزييف عشرات السنين.




الأمن القومي واختلاط الأوراق

لقد اختلطت الأوراق في مسألة تسليح الجيوش في دول العالم الثالث وبخاصة الإسلامية منها. . وأصبحت القيادات المهزوزة لهذه الدول تتوجس خيفة من أية محاولة لتعزيز قدراتها العسكرية، وإعادة بناء قواتها، ومواكبة تكنولوجيا السلاح التي راحت تتنامى بصيغة متوالية هندسية يضيع فيها من لا يحاول اللحاق ولو بالحدود الدنيا لمعادلات القوى الإقليمية في العالم.

ولم تعد أمريكة التي يتحكم اللوبي اليهودي بسياساتها، تفرّق بين الجماعات والتنظيمات (الشعبية) التي تصفها بالإرهابية، رغم أن معظمها يمارس نشاطه في الدائرة المشروعة المتفق عليها، في إعلان المقاومة لحماية أرض أو استرداد حق. . لم تعد تفرّق بين هذه وبين الحكومات الإسلامية نفسها التي تجد أن من حقها تنمية قدراتها العسكرية وملاحقة التطورات المتسارعة في ميدان التصنيع العسكري من أجل حماية أمنها القومي. .

واللعبة مكشوفة ها هنا أيضاً. . كانكشافها تماماً في كل حلقات السوء التي أريد من خلالها توظيف الإرادة الأمريكية المهيمنة على مقدرات العالم من خلال قطبيّتها الأحادية، لحماية إسرائيل وضمان أمنها القومي.

إنها مفارقة لم يشهد العالم مثيلاً لها عبر تاريخه الطويل. . أن يصير امتلاك إسرائيل لمئات الرؤوس الذرية عملاً مشروعاً تحت مظلة توازن القوى وضمانات الأمن القومي، بينما يصبح تزايد وتائر التصنيع العسكري للدول

العربية والإسلامية، عملاً مداناً، وامتلاكاً لأسلحة الدمار الشامل، وتشجيعاً للإرهاب يتحتم وقفه بأي أسلوب حتى لو اقتضى الأمر إعلان الحرب واعتماد أقصى وتائر الإرهاب الدولي لتدمير المحاولة وتفكيك حلقاتها كافة.

أمريكة ومدلّلتها (إسرائيل) تواصلان قفزاتهما الأسطورية في مجال التصنيع العسكري وتكنولوجيا السلاح، وتمارسان من خلال ذلك داخل جغرافية العالم الإسلامي، بدءاً من فلسطين المغتصبة وحتى حافات آسية وإفريقية، «إرهاباً» دولياً في أعلى وتائره ضراوة وعنفاً.. بينما تقف الدول «الصغرى» عاجزة مشلولة.. وفي أحسن الأحوال متذللة متوسلة من أجل أن يسمح لها السيّد الكبير بتعزيز قدراتها العسكرية على الأقل لحماية السلطات المحلية نفسها مما قد يعصف بها في الداخل، فيما قد لا يكون في مصلحة أمريكة وإسرائيل نفسيهما..

لقد اختلطت الأوراق وأصبحت أمريكة تتعامل مع حكومات الدول الإسلامية باعتبارها تجمعات أو منظمات إرهابية هي الأخرى، وأن عليها إذا أرادت رضا السيدة أن تكف عن تطوير قدراتها العسكرية وإلّا حاق بها الويل والثبور.

وننسى، ونحن نعاني من ضبابية الرؤية واختلاط الأوراق، أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا في كتابه الكريم أن نعد لأعدائنا القوة التي نرهبهم بها كيلا يغتصبوا أرضنا وعرضنا، وأن نستخرج الحديد لكي نوظفه لمطالب السلم والحرب معاً، وإلّا افترستنا الوحوش الضواري، وافترست معنا موروثنا الديني الذي ائتمننا الله عليه:

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.




الدستور الأمريكي وبيت الداء!

وكالات الأنباء في ٢٩ ـ ١١ ـ ٢٠٠٢ م: «أمريكة تمنح إسرائيل ١٢ مليار دولار دعماً وإسناداً في مجابهتها للانتفاضة الفلسطينية».

بقدر ما يتعلق الأمر بالاستنزاف اليهودي ـ الصهيوني للأمريكيين وتوظيف قدراتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية لصالح إسرائيل على حساب المصلحة القومية العليا للشعب الأمريكي، فإن هناك خللاً ما في بنية الدستور الأمريكي نفسه.. ذلك هو أن لكل رئيس الحق في أن يرجع ثانية إلى البيت الأبيض أو أن يظل فيه لفترة رئاسية ثانية!

فالذي يحدث أن «الرئيس» في دورته الأولى يضع نصب عينيه الدورة الثانية، ويركز جلّ همه لضمان الفوز بها ضد خصومه ومنافسيه، سواء داخل الحزب الواحد، أو عبر دوّامة الصراع بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي.

ينتهز اللوبي اليهودي داخل الولايات المتحدة هذه «الحالة» فيمارس مع السيد الرئيس كل صيغ الوعد والوعيد من أجل توظيف سياساته لصالح إسرائيل أكثر فأكثر..

الوعد بالسعي لتمكينه من سحق خصمه والفوز بالرئاسة الثانية.. والوعيد بسحب البساط من تحت قدميه، وتمكين خصمه منه!

وفي الحالتين يجد السيد الرئيس نفسه في نقطة الشد والجذب. . منساقاً باتجاه الإغواء اليهودي الماكر، مقدماً التنازلات والوعود المالية والاقتصادية والعسكرية والسياسية لإسرائيل بصيغة متواليات هندسية قد تبلغ أحياناً تحميل الميزانية الأمريكية ما لا تحتمل، وإرهاق المواطن الأمريكي بالمزيد من الضرائب، من أجل كسب الصوت اليهودي في معركة الانتخابات القادمة.

ولقد بلغ الأمر بالنسبة لبعض رؤساء أمريكة أن تقبلوا التأنيب الإسرائيلي، بل الإهانات الصادرة عن رؤساء وزراء إسرائيل ومتحدثيهم، دون أن يبذلوا أي جهد للردّ، على الأقل لحماية ماء وجوههم، أمام جماهير الأمريكيين أنفسهم، أو شعوب وزعماء الدول الأخرى!

وبسبب من هذه اللعبة المكرورة والماكرة، لم يلتفت رؤساء أمريكة، منذ قيام إسرائيل وحتى اللحظات الراهنة، إلّا في حالات استثنائية لا يقاس عليها، إلى أن مصالح أمريكة المعرضة للضياع في بلدان العالمين العربي والإسلامي، ربما تكون أكبر بكثير وأهم بكثير من مصالحها مع إسرائيل.

ولكنها الأفواه المتحلّبة لدورة رئاسية ثانية، تنسى وهي تبتلع ريقها، مؤملة في الحصول على المطلوب، كل ما يتعلق بالمصالح القومية العليا للأمريكيين وتتمركز في نقطة واحدة: أن يرمي اللوبي اليهودي بثقله من أجل إيصالها إلى البيت الأبيض.

والخطأ يكمن ـ مرة أخرى ـ في بنية الدستور الأمريكي الذي يسمح باللعبة دون أن يفكر أحد من مشرّعي القوم هناك وعقلائهم بسدّ هذه الثغرة وإعطاء الرئيس فرصة واحدة لا فرصتين، من أجل ألّا توظف أولاهما لأهدافه ومطامحه الشخصية وليس لأمريكة نفسها!

قد يقول قائل: إنه حتى لو اقتصر الأمر على جولة واحدة، فإن أي مرشح يجد نفسه مرغماً على تقديم «الوعود» والتنازلات لإسرائيل من أجل الوصول.

وهذا حق.. وحق كذلك أن هذا المرشح إذا ضمن الوصول ولم تكن هناك ثمة دورة رئاسية ثانية فإنه سيكون أكثر قدرة على التحرر بالتدريج من الضغوط اليهودية والاستنزاف الإسرائيلي.. والإمساك ـ من ثم ـ بالعصا من وسطها، على الأقل حماية للمصالح الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي والتخفيف من مشاعر الكراهية والبغضاء لكل ما هو أمريكي في هذا العالم والتي راحت تزداد اشتعالاً بمرور الأيام.

ويومها لن يكون لبوش الابن أن يبلغ به الانحياز لبني إسرائيل أن يهنِّئ الإرهابي شارون السفاح على اغتياله للشهيد (الرنتيسي)، الزعيم السياسي لحماس، وفق واحدة من أكثر العمليات دناءة ولا أخلاقية في التاريخ الحديث!!

المبتعثون إلى أمريكة.. ماذا يراد لهم؟

الطلبة والشباب الذين ترسلهم دولهم إلى أمريكة موفدين ومبتعثين وسط جملة من المكاسب والإغراءات المالية والدراسية، يعودون في معظم الأحيان وقد «تأمركوا» وانجرفوا وراء إغواء النموذج الثقافي الأمريكي الذي يقوم على التكاثر بالأشياء، والتنمية المادية، والإشباع الحسّي، وغياب منظومة القيم الدينية والخلقية والإنسانية، وأصبحوا بالتالي «رسلاً» لمطالب هذه الثقافة وسفراء غير رسميين لأمريكة في بلدانهم التي سيرجعون إليها وقد خرجوا من جلودهم، وانسلخوا عن كل ما يربطهم بدينهم وتراثهم وخصوصياتهم.. بل، وفي أغلب الأحيان، تحولوا إلى «أعداء» جاؤوا لكي يعلنوا الحرب على كل ما يمت بصلة لثوابت الدين والتراث والخصوصيات.

إننا نراهم صباح مساء في مؤسساتنا الجامعية ومعاهدنا العلمية، في منتدياتنا ومؤتمراتنا.. عبر الشاشات التلفازية والفضائيات التي وجدوا فيها الفرصة لرفع خطابهم المتشكل داخل العقل والتقاليد الأمريكية، والذي يتناقض شكلاً ومحتوى مع بداهات العقل المسلم والتقاليد الإسلامية.

أغلب الظن أن هناك «قصدية» مسبقة، وأن إغراءهم بالذهاب إلى أمريكة ليس من أجل سواد عيونهم، أو تلبية للمطالب العلمية لجامعاتهم، وإنما الهدف هو قبل وبعد هذا كلّه: أن يعاد تصنيعهم على عين أمريكة ومراكز التوجيه فيها، من أجل أن يمارسوا دوراً ما يصب في المدىٰ القريب أو

البعيد في دائرة الاحتواء الأمريكي الذي يسعى، من خلال النظام الدولي الجديد، ذي القطبية الأحادية، وعبر آليات العولمة، التي حولت العالم كله إلى قرية صغيرة، لفرض النموذج الثقافي الأمريكي على الأمم والشعوب، من أجل أن تصير بيئة صالحة للمصالح الأمريكية، بعد أن يستأصلوا من ساحاتها كل ما يتعارض والنبض الأمريكي المتفرّد بمصائر الأمم والشعوب.

ومنذ ستينيات القرن الماضي، حيث كنت وأبناء جيلي نسعى للحصول على البكالوريوس في هذا الفرع المعرفي أو ذاك من فروع المعرفة الإنسانية، كان المبتعثون العائدون من أمريكة، أو من جامعاتها في البلدان العربية، يمارسون هذا الدور المؤكد من خلال جهد مزدوج يقوم في جانب منه على السعي للتشكيك بكل ما هو إسلامي أصيل في عقيدتنا وشريعتنا وتاريخنا وحضارتنا ووجودنا، والهجوم عليه ومحاولة تدميره.

ويقوم في الجانب الآخر على التبشير بقيم الثقافة الأمريكية، وإحلالها محل القيم الإسلامية، وتخريج جيل من الشباب منسلخ عن جلده، معجب حتى النخاع بالنموذج الأمريكي، جاهز في اللحظة المناسبة للتوظيف من أجل خدمة المصالح الاستراتيجية للسياسات الأمريكية.

الآن يدرك المرء لماذا ضُيّع كتاب الشهيد سيد قطب: «أمريكة التي رأيت» والذي استعصى بقوة إيمانه على الإغواء الأمريكي، يوم أن أوفد إلى هناك، ربما لأنه مضى في الاتجاه المعاكس تماماً وسعى في كتابه هذا إلى الكشف عن خواء النموذج الأمريكي، وماديته، وتضحّله، وتفاهته..

ولكن كم من المبتعثين إلى هناك يمكن أن يفعلوا ما فعله الشهيد؟!.

المزاد الكبير

إذا كانت أمريكة قد جاءت لتحرير العراق، وبناء النموذج الديمقراطي فيه.. ودفعت بجيوشها وبوارجها وأسلحتها الثقيلة، وأعملت تقنياتها الأسطورية، بكل ما تنطوي عليه من أرقام فلكية في النفقات.. إذا كانت أمريكة تملك هذا «الكرم» الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ، فمعنى ذلك أن البشرية لا تزال بخير، وأن هناك قيماً كبيرة يضحى من أجلها وتنفق في سبيلها الملايين والمليارات..

ولكن يأبى اللص إلّا أن ينزع قناعه ويكشف عن نفسه، كما يقول المثل، لكي ما يلبث أن يعلن بلسان الحال أو المقال، عن الدوافع الحقيقية لهذا كلّه، فإذا بها ليست تحريراً.. ولا رغبة صادقة لبناء النموذج الديمقراطي في المنطقة، وإنما وضع اليد على ثروات العراق، والتصّرف المطلق في فرص الاستثمار الكبرى لمشاريعه التي تنتظر اليد التي تحوّل بلمسات سحرية التراب إلى ذهب، وتضع في جيوب المستثمرين ثروات أسطورية ما كانت تخطر لهم على بال.

وقد يكون من حسن الحظ، وربما من سوئه، أن تعلن أمريكة مراراً وتكراراً أنها ستمنح فرص (الاستثمار) للدول التي وقفت إلى جانبها في حربها على العراق، وستحجبها عن تلك التي عارضتها، ووضعت العصي في عجلة حربها لكي تعرقل مضيّها إلى هدفها المحتوم.

ويتحول العراق، من خلال لعبة المنح والمنع هذه، إلى مزاد كبير، ينسى فيه شعبه المسحوق حتى العظم، وحق هذا الشعب بثرواته الواعدة،

وتتجه الأنظار، والأفواه التي يسيل لعابها للقمة الدسمة، إلى القيّمين على المزاد، من ساسة أمريكة الكبار، وأصحاب الكارتلات المالية والاقتصادية العملاقة المتربعين على سدة الحكم في البيت الأبيض، لتلقي الإشارة بالقبول أو الرفض..

وتمضي اللعبة، وفق قواعدها المرسومة سلفاً، فإذا ببعض الدول التي تلقّت إشارة الرفض، تقدم على استحياء حيناً، وبصراحة مكشوفة أحياناً، جملة من التنازلات وفروض الطاعة للسيد الأمريكي كي يرضى عنها، فيجري على الموقف منها تعديلاً تتحول بموجبه من خانة الممنوعين إلى خانة الممنوحين.

ها هي ذي الرؤية المصلحية الصرفة.. البراغماتية التي فرّخت في أمريكة وانتفشت وتورّمت على حساب المبادئ الإنسانية النبيلة، والثوابت الدينية الأصيلة، ومنظومة القيم الخلقية.. ها هي ذي تمضي إلى سوح البلدان المستضعفة لكي تعيد عقارب الساعة إلى الوراء.. فإذا بالاستعمار الجديد يكشف عن وجهه، ويمزق قناعه، ويسفر عن «جشع» لا حدود له، لاستلاب الثروة والركوب إليها كل مركب، بعيداً عن كل ما هو إنساني أو ديني أو أخلاقي على الإطلاق..

ها هم الآن يعلنون عن البضاعة المزجاة في أسواق العراق «عيني عينك» كما يقول المثل المصري، ودونما أي قدر من المواربة أو التغطية..

وها هي ثروات العراق المكشوفة والمغيّبة، يعلن عن مزادها الكبير، والسعيد السعيد هو الذي يحظى بلقمة أكثر دسماً.. ولكن ليس قبل أن يكسب رضا السيد الكبير ويتمسّح بأعتابه..




المسيحية ـ اليهودية: هذا الدين الجديد

تناقل المعنيّون بهموم الأمة تلك التعليقات والمواقف المسمومة، والمترعة بالحقد على الإسلام، والتي صدرت عبر الأشهر الأخيرة عن نائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي لشؤون الاستخبارات الجنرال (وليم بويكين)، الذي وصفته تقارير نشرتها جريدة (لوس أنجلوس تايمز) وشبكة أخبار (إن.بي.سي) بكونه متطرفاً غير متسامح، يؤمن بأن الإسلام «دين وثني دنس، نشنُّ ضده حرباً مقدسة».

وحول جهوده للقبض على بعض لوردات الحرب الصوماليين قال: «كنت أعرف أن ربي أكبر من ربّهم. كنت أعرف أن ربّي إلٰه حقيقي وأن ربهم هو صنم». كما ذكر في حديث أمام جمهور مسيحي، مرتدياً زيّه العسكري الرسمي، في شهر حزيران الماضي أن «الإسلاميين الراديكاليين يكرهون أمريكة لأننا بلد مسيحي، لأن جذورنا وأسسنا مسيحية ـ يهودية، والعدو هو شخص يدعى الشيطان. ولسوف يهزم عدونا الروحي ـ فقط ـ إذا واجهناه باسم المسيح».

إن (بويكين) هذا ليس ظاهرة استثنائية في الإدارة الأمريكية، بل إنه القاعدة وغيره الاستثناء.. وهو لم يكن ليعهد إليه بهذا المنصب الخطير لو لم يكن «على الدرب» كما يقولون.

ذلك أن الرئيس (بوش) نفسه، وجلّ الصقور والحمائم المحيطين به، يحملون العقيدة نفسها، ويطوون جوانحهم على كراهية متأصلة وحقد معلن أو دفين، ضد كل ما هو إسلامي في هذا العالم.

لقد اخترقتهم الأساطير اليهودية بدين جديد هو ما سماه (بويكين) نفسه، معترفاً ومتباهياً: المسيحية ـ اليهودية، وأصبحوا بمرور الوقت أدوات طيّعة بأيدي اللوبي اليهودي يوجههم كيفما يشاء، بغضِّ النظر عن انتماءاتهم الحزبية جمهورية كانت أم ديمقراطية.

فها هو (نيكسون) و (ريجان) يدخلان المعبد الجديد نفسه، ويؤديان الطقوس ذاتها، ويؤمنان حتى النخاع بالأكذوبة اليهودية التي تزعم أن السيد المسيح (عليه السلام) لن يرجع إلى العالم ما لم تكن (الدولة العبرية) اليهودية قد بسطت جناحيها من الفرات إلى النيل.

وها هو (بوش) الابن يمضي على الطريق نفسه، حيث يقول المطلعون على تفاصيل الأمور: إنه رجل متديّن، وأنه لا يتجه إلى مكتبه في البيت الأبيض صبيحة كل يوم قبل أن يقرأ مزامير وأسفاراً من العهدين القديم والجديد.

إنها الكراهية المزدوجة، أو المركبة، للإسلام والمسلمين.. ولقد جاءت واقعة الحادي عشر من أيلول، بكل ذيولها وملابساتها، لكي تمنحها الفرصة للتكشّف، والمضي في الشوط إلى المدى، تحت غطاء مقاومة الإرهاب.. وهو في حقيقة الأمر، وفي ضوء معطيات سدنة الدين الجديد، وأقوالهم وتصريحاتهم، ليس سوى مقاومة الإسلام نفسه، بدءاً من الساحة الأمريكية نفسها، وانتهاء بآخر نقطة في جغرافية عالم الإسلام.

ولقد كشفت الدراسة التي قام بها (المعهد العربي) في الولايات المتحدة عن أن ٥٨٪ من الأقليات العربية والمسلمة هناك تتعرض للتحقيق

والملاحقة، ونظرات الكراهية والتشكيك من قبل أجهزة الأمن ورموز النظام. وقد كشف تقرير نشرته منظمة (هيومان رايتس ووتش) الأمريكية لحقوق الإنسان عن أن الاعتداءات على المسلمين والعرب في الولايات المتحدة قد ارتفعت بمعدل ١٧٪ في عام ٢٠٠١ م إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول).

هذا شيء مما يجري داخل أمريكة.. أما ما حدث في عالم الإسلام نفسه، فيعرفه القاصي والداني، وهو ليس بحاجة إلى شهادة أو دليل.




النموذج الأمريكي!

بعد عامٍ من الاحتلال الأمريكي للعراق والذي استهدف تقديم خدماته الكبيرة للعراقيين، ولبلدان المنطقة كافة، وبناء النموذج الديمقراطي ومجتمع الرفاهية الذي سيتحلّب له ريق العرب والمسلمين كلّهم في مشارق عالم الإسلام ومغاربه، وسيمدّون أيديهم متوسّلين بالإدارة الأمريكية أن تعينهم على اللحاق بالنموذج العراقي أو مقاربته على الأقل..

بعد عام من «الوعد» بالتحرير، والبناء، والديمقراطية، والغنى، والرفاهية، والاستقرار، والحياة الآمنة المطمئنة الموفورة السعيدة.. والتعويض عن زمن القهر والاستلاب والحرمان..

بعد عام من هذا كلّه، وجد العراقيون أنفسهم وكأن شيئاً لم يتغير.. الخدمات في أسوأ أوضاعها.. والأمن في أشد حالاته تدنّياً.. القوة الكهربائية لا تعطى سوى ساعات قلائل، وعلى العراقيين بعدها معايشة الظلمة وتقلّبات الحرّ والبرد، أو أن يتحملوا صراخ المولدات المنصوبة في الأحياء ودخانها الأسود الذي تفتح رشقاته القاتمة بوابات السوء أمام السرطان.. اجتياز الشوارع بالسيّارات والتنقّل من مكان إلى مكان أصبح عذاباً يومياً لم يشهد له مثيلاً أي بلد على الإطلاق، بسبب الفوضى والاختناق..

القتل أصبح أمراً مجانياً وممارسة يومية لا يحاسب عليها أحد، والقصاص الذي جعله الله سبحانه حياة لأولي الألباب، ألغي من قواميس

القضاء فأغرى اللصوص وقطاع الطرق والقتلة بالمزيد من أعمال السطو والسلب والاغتيال.. الجريمة المنظمة التي لم يكن للعراقيين عهد بها، انتشرت بقعها السوداء كالسرطان في مدن العراق وقراه.

وفضلاً عن هذا كلّه مارس الأمريكيون أخطاءً لن يغفرها التاريخ، لأنها فتحت الأبواب على مصاريعها لهذا السوء كلّه.. والخطأ، كما يقول السياسي الفرنسي تاليران: «أكبر من الجريمة».

ولن يتسع المجال لسرد هذه الأخطاء جميعاً، ويكفي التأشير على اثنتين منها فحسب:

فأما أولاهما: فهي ما حدث في الأيام التي أعقبت السقوط الدراماتيكي المضحك المحزن للنظام السابق، حيث سمحت القوات الأمريكية لعصابات السلب والنهب، ومجموعات اللصوص والسفلة، أن تمارس واحدة من أبشع صيغ تدمير البنية التحتية في التاريخ.. حيث نهبت وسلبت وأحرقت معظم دوائر الدولة ومصارفها ومتاحفها ومكتباتها وجامعاتها بما فيها من تراث ثقافي، ورصيد علمي، وخزين من المال والذهب وأجهزة وأدوات وآلات.

وكان بمقدور دبابة أو مدرعة أمريكية واحدة تقف عند رأس كل حي أو شارع، أن توقف هذه المأساة المحزنة في لحظات.. فكأن هناك قصدية مسبقة أرادت قوات الاحتلال أن تغطي من خلالها، عملية الدمار الشامل هذه لغرض في نفس يعقوب.

وأما ثانية تلك الأخطاء: فهي حلّ الجيش العراقي على إطلاقه.. لقد اندفع الأمريكيون بحمى تدمير العسكرية العراقية إلى واحدة من أشد الممارسات سوءاً، وهي تجريد العراق من خط دفاعه الأخير ضد الفوضى والانفلات والتفكك والدمار.. فانفتحت بوابات الشرّ على مصاريعها، في غياب الجندي والضابط، وحدث هذا الذي حدث ولا يزال.

ومعلوم أن أجهزة الشرطة لا تستطيع أن تمسك بزمام الأمور مهما ازدادت دربة وعدداً. . دائماً وفي كل الدول كانت الحكومات، عبر اللحظات الصعبة، وتحديات التآكل والفناء، تلجأ إلى الجيش لضبط الأمن، وحماية المجتمع والدولة من التفكك والانهيار.

صحيح أن مهمة الجيوش هي حماية الأمم والشعوب من العدوان الخارجي، لكن الذي كان يحدث حتى في ديار الغرب، أن هذه الجيوش كانت الذراع الأشد قدرة على حماية الأمم والشعوب نفسها من العدوان الداخلي إذا صح التعبير، وكان غيابها ينذر بالويل والثبور.

ولا يزال الإعلام الأمريكي، وكل الذين يدورون في فلكه، يتحدث ويتحدثون عن النموذج الديمقراطي الحرّ. . عن مجتمع الأمن والاستقرار والرفاهية الذي سيشهده العراق، والذي سيدفع شعوب المنطقة كافة إلى اللهاث وراءه ومحاولة تحقيقه. .

فلا حول ولا قوة إلّا بالله. .




سباق الثعالب

ها هو موعد الانتخابات الأمريكية قد أصبح على الأبواب، وراحت ملحمة الصراع من أجل الوصول إلى البيت الأبيض يثور غبارها وتتصاعد وتائرها، وتتدفق نذرها وبشائرها في كل ركن أو مكان من خارطة الولايات المتحدة الأمريكية على امتدادها..

اللوبي اليهودي يتحرك ويعلن حالة الإنذار من الدرجة القصوى من أجل إيصال ما اتفق عليه من بين المتنافسين على مستوييْ رئاسة الأحزاب ورئاسة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

والمافيات المالية والاقتصادية العملاقة، تحركت هي الأخرى لتمكين الرجل الذي سيحمي مصالحها وينمّيها..

وما بين اللوبي والمافيات، سباق محموم للثعالب التي يسيل لعابها للبقاء في البيت الأبيض لأربع سنوات أخرى، أو للوصول إليه.

وتحت مظلّة الديمقراطية المدّعاة تمارس في الخفاء حيناً وعلى المكشوف أحياناً، جملة من المعطيات التي إذا ما أحلناها على قواميس القيم الخلقية كشفت عن تناقضها منذ اللحظة الأولى مع تلك القيم.

الرشوة والجنس وشراء الأصوات.. الترغيب والترهيب.. المزايدات والوعود الكاذبة.. التنازل عن المطالب الأساسية للمصلحة القومية الأمريكية العليا من أجل مصالح هذه الفئة أو تلك.. وكل ما يخطر وما لا يخطر على البال مما يراه الكثيرون بأم أعينهم وهم يتابعون ما تشهده

الساحة الأمريكية عبر اللحظات الراهنة من لهاث محموم، وسباق ميكيافيللي للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

فإذا ما تركنا هذا كلّه، واعتبرنا طعن المدافعين عن نبل القيم الديمقراطية الأمريكية صحيحاً.. فإن ثمة ما لا ينكره أحد لأنه يعبر عن نفسه يوماً بعد يوم بلسان المقال حيناً وبلسان الحال أحياناً.

إنه التسابق المحموم بين المرشحين في تقديم الوعود والتنازلات لإسرائيل المغتصِبة على حساب المصلحة القومية العليا لأمريكة نفسها.. وبعيداً عن أي اعتبار لمنظومة القيم الإنسانية والدينية والأخلاقية.

التسابق المحموم لذبح فلسطين والقضية الفلسطينية والإجهاز على القتيل بتمكين القاتل منه، عبر واحدة من أبشع الجرائم في التاريخ المعاصر على الإطلاق..

إنها اللعبة نفسها عبر خمسين عاماً أو تزيد.. يعلن الرئيس المتربّع على السدّة، والذي يتحلّب ريقه لجولة رئاسية أخرى عن جملة من التنازلات لإسرائيل، فإذا بمنافسه يزايد عليه فيعلن عن مواقف أشد خزياً وتنازلاً للعلق اليهودي الذي يعرف كيف يبتز سيدة العالم ويدرّ ضرعها في أفواه بني إسرائيل من خلال لعبة الانتخابات الرئاسية.

ترى متى سينتبه الرأي العام الأمريكي.. الضمير الأمريكي.. إلى أبعاد اللعبة التي ابتزّته ولا تزال منذ عشرات السنين، والتي راحت تكرر نفسها المرة تلو المرة في نهاية كل فترة رئاسية، بالمفردات ذاتها التي يستقطبها هدف مركزي واحد: أن يصل المرشح إلى البيت الأبيض بأي ثمن.. أي ثمن على الإطلاق!




شيء عن العولمة

تسعى العولمة، التي تقودها أمريكة، إلى صبغ العالم كله، وخاصة الدول والأمم التي تمتلك مقوّمات قادرة على التأثير والمنافسة والانتشار الفاعل في حياة البشر، بصبغتها الثقافية القائمة على إعلاء القيم المادية، والمتمحورة حول الفرد والمصالح الخاصة، والتحرّر من المبادئ والقيم السماوية. ويلعب الإعلام، بوسائله وتقنيّاته المتطورة الدور الرئيس في تعميم أنماط الثقافة الأمريكية، وإلى جانبه مؤسسات التربية والتعليم في مستوياتها كافة.

ومن أسباب النفوذ الذي تتمتع به الثقافة الأمريكية:

١. هيمنة شركات الإعلام الأمريكية على التسويق العالمي، وسيطرة الاقتصاد الأمريكي واعتماد اقتصاديات دول أخرى كثيرة عليه.

٢. التفوق الأمريكي في صناعة الأفلام والموسيقا والبرامج التلفازية، وتمتعها بسوق خارجية ضخمة في ظل انتشار التلفزيون والأقمار الصناعية وقنوات الفضاء التي أدخلت البث التلفزيوني إلى كل بيت في العالم.

٣. القابلية التسويقية التي تتمتع بها المنتجات الثقافية الأمريكية الهابطة والمكونة من مزيج ثقافات وافدة من أنحاء العالم وليست لها هوية ذات جذور محددة.

٤. قيام أمريكة بتطوير صناعة ثقافية موجهة لشريحة الشباب داخل وخارج أمريكة، وهم الشريحة الأوسع على مستوى العالم، وهم رجال المستقبل الذين سيشغلون في مجتمعاتهم مواقع التأثير والنفوذ.

٥. فتح أمريكة معاهدها وجامعاتها أمام الطلاب من أنحاء العالم وهؤلاء يشكلون النخب في بلدانهم بعد عودتهم إليها، بما يحملون من الأنماط الثقافية، وطرق التفكير المقتبسة من أمريكة.

٦. وهناك عامل سياسي عزز نفوذ الثقافة الأمريكية يتمثل في تفرّد أمريكة سياسياً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وهو ما دفع دولاً كبرى وصغرى في العالم، وكذا القادة والزعماء والمفكرين فيها، إلى الاقتناع بشكل أو بآخر بأن الديمقراطية والتعددية والليبرالية واقتصاد السوق تحت رعاية الدولة، هي النهج الأصوب والأسلم، والصيغة المثلى للنظام الاجتماعي، وهو ما جعل أمريكة مؤخراً الأنموذج السياسي الذي يجب على كل الشعوب والدول أن تحذو حذوه وتنسج على منواله.

في ندوة حول العولمة شارك فيها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري في ربيع عام ٢٠٠٢ م أشار إلى أنها «عولمة المصنع والكباريه».

كلمتان، لكنهما تنطويان على الكثير، ويمكن أيضاً أن نضيف إليهما «السوبر ماركت» من أجل أن تكتمل أطراف المثلث الذي يمسك اليوم بخناق الحضارة الغربية المعاصرة، ويمنح العولمة التي هي الإفراز الطبيعي لهذه الحضارة، لونها وخصائصها وأهدافها.

إنه: الإنتاج والجنس والاستهلاك.. الحضارة الغربية في أقصى حالاتها تكشفاً ووضوحاً وتركيزاً في الوقت نفسه.

فإذا حاولنا أن نلّم جلّ مفردات هذه الحضارة، وأنشطتها، في أنساق محدّدة، فإننا سوف لا نجد أكثر من ثلاثة أنساق تندرج في أطرها تلك الأنشطة والمفردات: الإنتاج، أو التنمية والتكاثر بالأشياء (بما فيها الأسلحة والجيوش).. والجنس، أو الترفيه في أكثر حالاته حسيّة ومادية.. والسوبر ماركت، أي النزعة الاستهلاكية التي يزيدها الإعلان، والتكاثر، والنزوع الحسيّ، سعاراً وجموحاً.

وتحت مظلة هذه الحضارة التي زادتها العولمة قدرة على الانتشار والتحكم في العالم كلّه.. تمضي كل القوى الفاعلة لتصعيد وتائر هذه الأطراف، أو الحدود الثلاثة، التي تمسك اليوم بخناق الإنسان: الدولة والمؤسسة والمجتمع والفرد على السواء.

كل يعمل من جهته لنفخ النار فيها.. منفرداً حيناً، متوافقاً، أو منسقاً مع الأطراف الأخرى حيناً آخر.

والعالم يجري كالمجنون.. يركض إلى حدّ اللهاث، أفراداً وجماعات وشعوباً وأمماً.. الكل يريد أن يلحق بالركب الأمريكي الذي يقود حملة السوء هذه.. الكل يريد أن يتكاثر بالأشياء، وأن يشبع نهمه الجنسي، ونزوعه الذي لا حدود له للاستهلاك، معتقداً ـ على الطريقة الأبيقورية البائدة ـ أن الحياة فرصة للتحقق باللذة، أو الطريقة الإسبارطية: «التحقق بالقوة».. بغض النظر عن ارتباط اللذة والقوة بمنظومة القيم الدينية والخلقية والإنسانية أو عدم ارتباطها على الإطلاق.

ومن عجب أن إحدى الكنائس في إنكلترة، والتي يفترض فيها أن تقف في مواجهة الطوفان، انساقت وراء الإغراء نفسه، فأعلنت عن قبول الزواج النمطي في أروقتها من أجل كسب المزيد من الأتباع.. بمعنى أنها أذعنت

هي الأخرى للمنطوق الأبيقوري باعتباره الوسيلة الأكثر فاعلية وتأثيراً في العبّاد والأتباع.

ويتساءل المرء: ماذا لو مضى مثلث الشرّ هذا إلى النهايات القصيّة التي يراد له أن يمضي إليها، كيف ستصبح الحياة؟ وهل ستستحقّ فعلاً أن تعاش، وقد فقدت عمقها الروحي، وبعدها الإنساني، وضوابطها الأخلاقية، وضيّعت مغزى الوجود البشري في العالم، وغدت مجرد لهاث وراء التكاثر بالأشياء، والتحقق بالإشباع الجنسي في أحطّ صيغه حسية وحيوانية.. ونزوعاً إلى الاستهلاك الذي يكدّس ويكدّس حتى يجد الإنسان نفسه، كما يقول «أونسكو» في إحدى مسرحياته: محاصراً بالأشياء حيث يفقد حريّته وقدرته على الاختيار؟!

العولمة.. نعم.. ولكن بضوابط الدين والقيم وبحياة تليق بالإنسان..

وإلّا فإنها اللعنة التي ستمسخ إنسانية الإنسان والحياة البشرية على السواء..




مناهج التربية والتعليم: محاولات للاختراق

تمثل مناهج التربية والتعليم واحدة من البوابات الكبرى لاختراقنا الثقافي وخلخلة ثوابتنا العقدية والفكرية، وإلغائها إذا اقتضى الأمر.

وقد أخذ هذا (الاختراق) يتأكد أكثر فأكثر في عدد من البلدان العربية: (مايسة عبد الرحمن) أعدّت ـ على سبيل المثال ـ دراسة عن تطوير مناهج الدراسة والتربية في مصر. وقد تطرقت في دراستها إلى «مركز تطوير المناهج» الذي أسسته الحكومة المصرية سنة ١٩٩٠ م بأموال معونة أمريكية. وقد ذكرت، كما ذكر كثير من المتتبعين غيرها، أن هذا المركز يضم ٢٩ مستشاراً أميركياً من الاختصاصيين الذين يعملون أصلاً في مركز تطوير التعليم في واشنطن. وبين هؤلاء المستشارين الأميركيين اثنان من اليهود. ومن بين هؤلاء المستشارين: د. جيرالد فيرس، د. بيتر نويمان، د. جون كابرود، د. ديفيد يتس، د. ايفرد كيتش، و د. ليندا لامبرت..

وقد قام عدد من العلماء والكتاب في مصر يدقون ناقوس الخطر بعد أن لاحظوا أن مركز تطوير المناهج بإشراف المستشارين الأميركيين واليهود، عمد إلى إعادة النظر في تدريس مادتي التاريخ والحضارة الإسلامية وتأثيرها على الغرب، ومادة التربية الدينية وعلوم القرآن والسيرة النبوية. أما في التاريخ الإسلامي فقد قلّصوا فترة الفتوحات الإسلامية ودور مصر الإسلامي، وركزوا على تاريخ مصر القديم (الفرعوني)، وحذفوا تدريس

تاريخ الصراع العربي ـ اليهودي. . كما حذفوا من علوم القرآن تدريس الآيات التي تلعن اليهود أو تشير إلى عداوتهم ومكرهم، وحذفوا من السيرة تدريس حروب الرسول ﷺ مع اليهود. وفي التربية العامة للشعب يتدخل هذا المركز لتوجيه المواد الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون والصحف بحيث تنسجم مع ما تقرّر في منهج التعليم.

والعراق المحتل يشهد عبر اللحظات الراهنة دعوة مؤكدة لتغيير مفردات مناهجه التربوية والتعليمية، وإعادة بنائها من جديد في ضوء الخبرة الغربية البراغماتية ومطالب تدمير الحواجز الدينية النفسية والثقافية مع العدو الإسرائيلي.

وقد نشرت صحيفة (واشنطن بوست) الأمريكية تقريراً في السادس من فبراير الماضي يتحدث عن سعي الحكومة الأمريكية، بالتعاون مع بعض العراقيين المغتربين، إلى تغيير المناهج التعليمية في العراق على غرار ما قامت به الحكومة الأمريكية في أفغانستان. وذكر التقرير أن وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية (AID) رصدت ٦٥ مليون دولار أمريكي لتقدمها كعقود لمؤسسات سوف تعمل على تغيير هذه المناهج، ومن بينها منظمات أمريكية أشرفت على صياغة مناهج تعليمية جديدة للمدارس في أفغانستان. وذكر التقرير أن الإدارة الأمريكية تأمل في أن تجري هذه التعديلات في الشهور الخمسة القادمة، وقبل أن يعود الطلاب العراقيون إلى مدارسهم في بداية العام الجديد.

وأبدى مسؤولون في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) تخوّفهم من أن تفتقد التغييرات التي تنوي الحكومة الأمريكية إدخالها على المقرّرات التعليمية في العراق، للتوازن المطلوب للحفاظ على انتماء الشعب العراقي لأرضه ولقيمه ولحضارته، كما أبدوا تخوّفهم من أن لا تعطي المقررات

الجديدة للطلاب العراقيين نفس الحقوق التي يحصل عليها الطالب الأمريكي والذي يتعلم تاريخه كما يتعلم الاعتزاز بوطنه منذ نعومة أظافره.

وذكر (نهاد عوض) المدير العام (لكير) أن تغيير المناهج التعليمية يجب أن يتم على أيدي التربويين العراقيين أنفسهم، والذين يجب أن تعطى لهم الفرصة لصياغة مناهج تعليمية عراقية تعكس ثقافة أهل العراق وقيمهم الدينية ورؤيتهم لمستقبل بلادهم، كما يجب أن يتم ذلك بدون أية ضغوط خارجية حتى لا تتأكد مخاوف العراقيين من وجود محاولات أجنبية للهيمنة.




اتحاد أوربي.. فأين العرب؟

رغم التغاير القومي والديني والمذهبي، وحتى المصلحي الصرف، توحّدت أوربة.

وعلى فترات زمنية متقاربة شهد العالم قيام السوق الأوربية المشتركة.. والاتحاد الأوربي.. والعملة الموحدة (اليورو) وأصبح المرء يتجول في تسعة من بلدان أوربة الغربية بجواز سفر واحد، وتأشيرة واحدة، بل ببطاقته الشخصية..

ثم ما لبثت مجموعة الدول الأوربية الشرقية المنفكة عن هيمنة الاتحاد السوفياتي المنحل، أن انضافت هي الأخرى إلى شقيقاتها في الجهة الأخرى من أوربة، وأصبحت القارة في معظم مساحاتها دولة واحدة في العديد من الاعتبارات والمعايير.

ونحن العرب.. على مدى قرن أو يزيد.. لم نستطع أن نوحد شبرين من الأرض.. أو نقيم سوقاً مشتركة.. بل على العكس تماماً، أصبحنا بمرور الوقت نبحر باتجاه المزيد من التجزئة والتفكك.. وأصبحت الدولة الواحدة مهددة بأن تغدو دويلات شتى، وفق تكوينها الإثني أو الديني أو المذهبي، أو حتى المصلحي الصرف.

وما هو أسوأ من هذا كلّه أن جلّ التجارب والمحاولات الوحدوية أو الاتحادية، على مدى نصف القرن الأخير، آلت إلى الفشل.. وكأن هناك

قوة سحرية أو أسطورية كتبت على العرب ألّا يتوحدوا أو يتحدوا، رغم توفر كل مقومات الوحدة أو الاتحاد، على كل المستويات الجغرافية والاقتصادية والبشرية والتاريخية.. وقبل هذا وذاك: الانتماء المشترك إلى العقيدة التي رفعت منذ البدء شعار ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وتمكنت عبر عقود من الزمن أن تصبح الأمة الأعلى والأقوى والأكثر امتداداً والأشد تماسكاً في هذا العالم.

ما الذي جرى لكي يحدث هذا الذي يحدث الآن؟

صحيح أن القوى الاستعمارية العتيقة منذ مؤتمرات لوزان وسايكس بيكو، مارست، وبقسوة بالغة، تمزيقاً وتفكيكاً للدول العربية المنفكة عن جسد الدولة العثمانية بعد انهيارها في أعقاب الحرب العالمية الأولى.. وصحيح أن القوى الإمبريالية الجديدة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، مضت في الاتجاه نفسه، بل أضافت عليه المزيد من التجزؤ والتفكيك.

وصحيح أن المصلحة الغربية التي هي عقيدة القوم هناك كانت وراء المأساة في الحالتين.. مبطنة ببعد ديني لا يمكن إغفاله..

لكن هذا وحده لا يكفي..

فالذي يصنع الهزائم والانتصارات معاً هي الشعوب نفسها وقيادات تلك الشعوب..

ولقد صنعت شعوبنا وقياداتنا، عبر نصف القرن الأخير ـ على وجه التحديد ـ سوءاً كثيراً.. وكان لابدّ أن تجني حصاده المرير..

المزيد من القطرية والإقليمية.. والمزيد من التفكيك وتجزئة المتجزئ.. بل المزيد من التقاتل والتناحر والصراع..

ولقد قالها القرآن الكريم بوضوح لا لبس فيه: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ و﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾.

فلو أننا أحسنّا التعامل مع مقوّمات العقيدة العظيمة وحيثيات الجغرافيا والتاريخ لما كان هذا الذي كان..

ولسبقنا أوربة الموزاييكية إلى الهدف العزيز..

ولكن..!!




إصلاح التعليم:
البعد الحقيقي

في سياق المحاولات المحمومة للولايات المتحدة الأمريكية من أجل «أمركة» الشرق الأوسط، والبلدان العربية، وعالم الإسلام على امتداده، يجيء ما يسمى بإصلاح التعليم لفرض النموذج الثقافي الأمريكي على المنطقة.

والنموذج الثقافي الأمريكي يرتطم ابتداء مع الرؤية الإسلامية للكون والعالم والحياة والمصير، ولمهمة الإنسان في الأرض.. إنه بسبب من ماديته وعلمانيته ونفعيته وإباحيته وتكاثره بالأشياء ورفضه الغيب والإيمان الجاد بالله واليوم الآخر.. يبحر باتجاه معاكس تماماً لما تربّت عليه، وعايشته أجيال المسلمين على مدى أربعة عشر قرناً، ومارسته في عاداتها وتقاليدها وتربيتها وتعليمها وسلوكها وقناعاتها، رغم كل محاولات الانحراف بها ذات اليمين أو ذات الشمال. ولن يكون بمقدور الممارسة الأمريكية، رغم ضغوطها وإغراءاتها الهائلة، أن تمضي إلى أهدافها بسهولة حتى ولو تمكنت من توظيف كل وزارات التربية والتعليم في بلدان العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه.

لنتابع بعض ما تشهده البلدان العربية في هذا المجال للاطلاع على جانب مما يراد بهذه الأمة، والجهود الموصولة التي تبذل لإرغامها على قبول فكر الآخر ورؤيته.

فلقد أكد (أحمد الصياد) المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو في كلمته أمام المؤتمر العربي الإقليمي، الذي عقد في القاهرة في حزيران من العام الفائت، تحت عنوان «التعليم للجميع.. والرؤية العربية المستقبلية للتعليم»: «إنه لا خيار أمام الدول العربية سوى قيامهم بتغييرات شاملة في الأنظمة التعليمية، وعلى رأس هذه التغييرات تغيير المناهج الحالية في جميع الدول العربية» وأشار إلى أن التغيير في المناهج سيوجد حالة من التواصل مع الآخر!

كما طالب في كلمته بفتح حوار مع الأقليات الدينية والسياسية في الأقطار العربية، وأضاف: إن حقوق الإناث في التعليم ما زالت متخلفة في العالم العربي.

وقد اعتبرت تصريحات المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو على أنها إشارة بدء التغييرات في المناهج على النسق الأمريكي الغربي.

ومن الجدير بالذكر أن السفير الأمريكي في مصر (ديفيد ولش) حضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر من دون سائر السفراء، وقد اضطر للانسحاب بسبب عدم قبول كثير من الحضور لوجوده!

كما قام وزراء التعليم العرب بعمل اجتماع مغلق من أجل مناقشة آليات التغيير في الأنظمة التعليمية العربية. وأكدت مصادر مطلعة أن الوزراء العرب درسوا في الاجتماع المغلق المقررات الأمريكية لتعديل المناهج التعليمية.

ومما يلفت الانتباه أن عبارة «الإقليمي» برزت في العنوان الرئيسي للمؤتمر وفي الكثير من عبارات البيان الختامي.

ولنا أن نتساءل عن دلالة حشر هذه الكلمة في الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات التي أقيمت في الدول العربية مؤخراً؟ ألا تكفي عبارة (المؤتمر

العربي) حتى يضاف إليها (الإقليمي)؟ أليست هي الكلمة التي يطلقها الغرب على الأحداث التي تقع في الشرق الأوسط وتجمع كل دول المنطقة بما فيها إسرائيل؟!

النفط.. هو الهدف

في مأساة العراق الراهنة كان النفط هو أحد الأهداف الأساسية، والآن.. فإن معظم العراقيين يتمنون أن لو لم يكن بلدهم يحتوي هذا الخزين الأسطوري من الذهب الأسود.. أو المصائب السوداء!

وما يملكه العراق من ثروات مائية، وإمكانات زراعية مدهشة، كان يمكن لو أحسن توظيفها، أن تدرّ على العراقيين خيراً وفيراً، وتمنحهم السعادة والرفاهية، بدون هذا (الزفت) الذي جلب عليهم الويل والثبور.

ومشكلتنا نحن العرب، والمسلمين عموماً، أننا أصبحنا عبر قرون الانكسار الحضاري، وبخلاف ما كانت عليه الأجيال الأولى من أبناء هذه الأمة، نميل إلى الكسل.. فإذا ما توفّر بين أيدينا ما يؤمن حاجاتنا المعاشية، ودخلنا القومي «على الساهل» بالتعبير المصري، فليس ثمة مبرر بعد ذلك على الإطلاق لبذل الجهد من أجل تحقيق المطلوب.

هذه هي قصتنا مع النفط الذي زادنا بمدخولاته الكبيرة اتكالية وكسلاً، وجعلنا نهمل ما حبانا الله سبحانه من نعم وخيرات لو أحسن توظيفها لفعلنا الأفاعيل.

وبمرور الوقت أصبحنا نعاني من إشكالية الاستيراد الذي يفوق التصدير، وعجز الميزانيات، وغياب الأمن الغذائي، وبالتالي قيام الدول الكبرى في العالم بالإمساك بنا من رقابنا حيث يصبح النفط ومردوده المالي هو الداء والدواء.

في منتصف كانون الثاني ٢٠٠٣ م كتب توماس فريدمان مقالاً في الهيرالد تربيون قال فيه: «إن النفط هو أحد أسباب الإعداد للحرب ضد العراق. وإذا حاول أي شخص أن يقنعنا بغير ذلك، فإنه قطعاً لا يحترم عقولنا».

وتشير الدراسات إلى أن آخر نقطة نفط في العالم ستكون في العراق الذي يملك ١١٢ مليار برميل كاحتياطي نفطي يمثل ١١٪ من احتياطي نفط العالم. فيما تشير دراسات أمريكية أخرى صادرة عن إدارة معلومات الطاقة الأمريكية، إلى أنها تصل إلى مئتي مليار برميل، كما أن هناك الكثير من حقول النفط العراقي لم تستغل حتى الآن، وعدد الحقول المستغلة بسيط للغاية. وفيما لا يزيد معدل الاحتياطي النفطي في دول مثل الولايات المتحدة وكندة عن عشر سنوات معدودة، فإنه يتجاوز المئة عام في العراق. علاوة على ذلك فإن تكاليف استخراج برميل النفط في العراق هي الأرخص بين دول العالم المنتجة. ففي الوقت الذي يصل فيه في بحر الشمال إلى أربع دولارات، وفي بحر قزوين إلى ما هو أكثر من ذلك، فإن تكلفة استخراج البرميل في العراق تصل إلى حوالي ٩٧ سنتاً فقط، ويباع بأكثر من أربعين دولاراً في المعدل الوسطي، أي أن الأرباح تتجاوز المئة بالمئة..

والولايات المتحدة التي لا تمتلك سوى ٢٪ فقط من الاحتياطي العالمي، ويستهلك الفرد فيها سنوياً ٢٨ برميلاً، لا يكفيها احتياطيها إذا توقفت عن استيراد النفط، أو منع عنها، لعشر سنوات فقط، مما يعني انهيار أكبر دولة صناعية في العالم. وقد أصدرت إدارة معلومات الطاقة الأمريكية بالاشتراك مع شركة بريتيش بتروليوم دراسة في نهاية عام ٢٠٠٢ م أشارت فيها إلى أن إنتاج النفط العالمي في اليوم بلغ ٧٧ مليون برميل عام ١٩٩٧ م، أما في عام ٢٠١٠ م فسوف يصل إلى ٩٥ مليون برميل، وسوف يرتفع في ٢٠١٥ م إلى ١٠٤ مليون برميل، أما في عام ٢٠٢٠ م فسوف

يصل إلى ١١٢ مليون برميل في اليوم، وسيكون العراق من أكثر الدول قدرة على تلبية احتياجات السوق العالمي آنذاك.

هذا إلى أن هيمنة أمريكة على نفط العراق يجعلها تتحكم في القوى الأخرى مثل اليابان وفرنسة وألمانية والصين والهند، والتي يمثل النفط بالنسبة إليها جميعاً شريان الحياة..




رجالات الإدارة الأمريكية: الوجه الحقيقي

وهذه ورقة أخرى تسقط عن الجسد الأمريكي المتقرح لكي تكشف عن الوجه الحقيقي للعناصر المتربعة على عرش السلطة في الإدارة هناك.

كراهية سوداء لكل ما هو إسلامي، وانحياز فاضح لكل من يحمل العداء والبغضاء للإسلام والمسلمين..

مرة أخرى.. الوقائع كثيرة، والجسد الأمريكي يتعرى أكثر فأكثر لكي يكشف عن ملامحه الحقيقية المترعة بالدمامل والبثور..

وقد تغني واحدة من عشرات ومئات في السياق نفسه..

طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) الرئيس الأمريكي بوش ووزير دفاعه رامسفيلد بإعفاء نائب مساعد وزير الدفاع لشؤون الاستخبارات الجنرال ويليام بويكين من منصبه الحسّاس، أو بنقله إلى وظيفة أخرى لا تتعلق بصناعة سياسات أمريكة في حربها ضد ما تسميه بالإرهاب، بعد أن تلفظ بعبارات مسيئة للإسلام في مناسبات مختلفة، من بينها لقاء مع مجموعة مسيحية في شهر حزيران من العام الماضي.

وقال (كير) في بيانه: إن تقارير نشرتها جريدة لوس إنجلوس تايمز وشركة أخبار (إن.بي.سي) وصفت الجنرال بويكين بكونه «متطرفاً غير متسامح، يؤمن بأن الإسلام دين وثني دنس، تشن ضده حرب مقدسة». كما

ذكر بويكين في نقاش حول جهوده للقبض على بعض لوردات الحرب الصوماليين: «كنت أعرف أن ربي أكبر من ربهم. كنت أعرف أن ربي إلٰه حقيقي وأن ربهم هو صنم».

وأضاف (كير) أن بويكين «ذكر في حديث أمام جمهور مسيحي مرتدياً زيّه الرسمي في شهر حزيران أن من أسماهم (الإسلاميين الراديكاليين) يكرهون أمريكة لأننا بلد مسيحي، لأن جذورنا وأساسنا مسيحية ـ يهودية.. والعدو هو شخص يدعى الشيطان» وأضاف: «عدونا الروحي سوف يهزم فقط إذا واجهناه باسم المسيح».

وقال مراقبون: إن تصريحات بويكين قوضت جهود إدارة الرئيس بوش للتأكيد على أن الحرب على ما تطلق عليه واشنطن الإرهاب، ليست حملة على الإسلام. وأشارت الأندبندنت إلى أن محامي البنتاغون ومسؤولي العلاقات العامة تباحثوا لتقييم الخسائر التي سببتها تصريحات الجنرال.

من جانبه رفض وزير الدفاع رامسفيلد توجيه اللوم لبويكين على تصريحاته السافرة، معتبراً أن ما قاله يعبر عن رأيه الشخصي، وأشاد ـ في المقابل ـ بسجل بويكين العسكري حيث يعد أكثر المحاربين القدماء الحاصلين على أوسمة! وقال: إنه ليس هناك أية خطط لإقالته.

وامتدح لورنس دي ريتا كبير موظفي وزارة الدفاع السجل العسكري «المميز جداً» للجنرال ويليام بويكين، وأشار إلى بيان بويكين الذي أكد فيه إيمانه بحرية التعبير وحرية العقيدة، وقال: «عندما تزن ثقل كل هذه الأمور، فإن أحداً لا يفكر بشأن مطالبته بالاستقالة».

ودافع بعض الجمهوريين عن تصريحات بويكين.. وفي تصريح بمجلس النواب قال النائب مايك بيتس من ولاية إنديانا: إن الجنرال كان على حق، وأضاف: «الله ليس محايداً في هذه القضية. عندما يتعلق الأمر بالصراع بين

الديمقراطية والطغيان، بين الدكتاتورية والكرامة الإنسانية، دعونا نقول ذلك في هذا الكونجرس، إن الله يقف بجانبنا، ونتمنى أن يكون بجانبنا على الدوام».

بقي أن نختتم هذا المقال بعبارة طالما ترددت على لسان بويكين وهي أن الله هو الذي اختار بوش رئيساً!!




شيء عن أمريكة.. من الداخل

ما وراء الديكور الخارجي لأمريكة، بخدماته المدهشة وتقنيّاته الأسطورية، وتفوقه العسكري الساحق، وقدراته الاقتصادية العملاقة.. ما وراء هذا كله يكمن العفن والتفكك والفساد، وانهيار القيم الخلقية والدينية والإنسانية، وتصاعد معدلات الجريمة بأشد صيغها ضراوة وقسوة وعنفاً..

وعندما يبلغ الأمر أن يقوم مرشح الديمقراطيين (كيري) بالمزايدة على خصمه (المحافظ، المتديّن!!) بوش الجمهوري، بإباحة اللواط والسحاق والشذوذ الجنسي من أجل كسب المزيد من الأصوات..

وعندما يبلغ الأمر أن تفوح رائحة المني من الملابس الداخلية للرئيس الأمريكي السابق (كلنتون) بسبب من استعصاء مونيكا لويسكي عليه، لأمرٍ ما..

وعندما يتنافس أحد رؤساء أمريكة الراحلين (مع التحفظ عن ذكر اسمه احتراماً لذكراه) مع شقيقه (الراحل هو الآخر) على ممثلة الإغراء الأمريكية المعروفة (مارلين مونرو) وتضطر المخابرات الأمريكية التي كانت تتابع الحالة عن كثب، إلى اغتيالها، وادّعاء أنها انتحرت.. وذلك خشية تسرّب المعلومات الحساسة للبيت الأبيض عن طريق الممثلة..

عندما يحدث هذا وذاك.. وغيره كثير.. على مستوى القمة، فما الذي يحدث على مستوى القاع؟

في تموز ٢٠٠١ م نشرت الصحف البريطانية أن العاصمة الأمريكية واشنطن تتصدر قائمة أكبر عواصم العالم انتشاراً للجريمة، حيث يصل معدل جرائم القتل في واشنطن إلى أكثر من ٥٠ جريمة قتل لكل مئة ألف شخص، ومعدل سنوي يصل إلى ٥٠٠ قتيل في العام.

أما في الولايات المتحدة بشكل عام فإن معدلات القتل تصل سنوياً، كما ذكر الآن بيير وإميل بريز في كتابهما «أمريكة: العنف والجريمة» الذي صدر في عام ٢٠٠٠ م إلى ٣.٦ جريمة قتل لكل مئة ألف أمريكي وذلك حسب معدلات عام ١٩٩٨ م فيما تصل إلى ٦.١ فقط لنفس النسبة في فرنسة. وخلال عقود القرن العشرين سجلت الولايات المتحدة أعلى نسبة للقتلى بالعيارات النارية في العالم، بلغت ثلاثة أضعاف فرنسا وأربعة أضعاف كندة، وسبعة أضعاف البلدان الإسكندنافية. وخلال الفترة بين عامي ١٩٦٠ و ٢٠٠٠ م لقي ٧٥٠ ألف أمريكي مصرعهم قتلاً بالرصاص، أي بمعدل سنوي يصل إلى ١٨٧٥٠ قتيلاً للعام. ويملك الأمريكيون ٣٣٠ مليون قطعة سلاح في بيوتهم، ويشترون سنوياً سبعة ملايين قطعة سلاح مما ينتج حديثاً. ويعتبر القتل هو أخطر أنواع الجرائم التي ترتكب في الولايات المتحدة.

وحينما نجحت الولايات المتحدة في خفض معدلات جرائم القتل وصلت في عام ١٩٩٨ م إلى ١٦٩١٤ جريمة قتل، أي بانخفاض بلغ ٧٪ فقط عن العام السابق ١٩٩٧ م. ومن الطبيعي أن تصل مبالغ مكافحة الجريمة إلى مستويات عالية للغاية، حيث تنفق الولايات المتحدة سنوياً على علاج ضحايا الجريمة ١٠٥ مليار دولار، يضاف إليها ٣٥٠ ملياراً تدفع لهم على شكل تأمينات وتعويضات. أما الجهاز الأمني فإنه ينفق عليه سنوياً ١٢٠ مليار دولار. أما السجون التي تضم ٦٦٦ أمريكياً من كل مئة ألف، وهي النسبة الأعلى في العالم، فإن نفقاتها السنوية تصل إلى ٣٥ مليار دولار.

ولن يتسع المجال لإلقاء نظرة على الصفحة السوداء الأخرى في الحياة الأميركية: المخدرات.. والجنس.. والشذوذ.. والاغتصاب.. والانتحار.. حيث الأرقام القياسية والمعدلات المخيفة تؤذنان بالويل والثبور..

وهذا يكفي..




صدّق.. أو لا تصدّق!!

يوماً بعد يوم تزداد قبضة اللوبي اليهودي في أمريكة إمساكاً بخناق المفاصل الحساسة في الإدارة الأمريكية، وهيمنة على مقدّراتها.

يبدو أن اليهود هناك لا يكتفون بوضع «الرئيس» في جيوبهم، وإرغامه على أن يكون موظفاً مطيعاً لمطالب إسرائيل والحركة الصهيونية من خلال لعبة الانتخابات وما يرافقها من إغراءات ومزايدات على حساب المصالح القومية العليا للولايات المتحدة. وإنما هم، من أجل تأكيد هيمنتهم على الإدارة الأمريكية، وتوجيهها الوجهة التي يريدون في حلقاتها كافة، يسعون إلى الإمساك بالمواقع الحساسة في البيت الأبيض والبنتاغون ومؤسسات الأمن القومي، فضلاً عن المؤسسات البرلمانية، لكي يسدّوا أي منفذ قد يتيح للرئيس أن يتملّص منهم قليلاً ويمارس شيئاً من العدالة في تعامله مع الأطراف الأخرى، وبخاصة العربية والإسلامية، على الأقل من أجل ضمان وحماية مصالح أمريكة نفسها.

هذه حقائق يكاد يعرفها الجميع، ولكن ما لا يعرفه الكثيرون، هذا الحضور اليهودي المكثف في إدارة بوش، رغم أن الجمهوريين أقل انفتاحاً من الديمقراطيين على محاولات التدجين الصهيوني، بمعنى أن مقدرات الولايات المتحدة، وبالتالي مقدرات الأمم والشعوب المستضعفة التي ابتليت بهيمنتها على العالم من خلال النظام العالمي الجديد ذي القطبية الأحادية.. هذه المقدرات أصبحت بيد حفنة من اليهود سواء جاء الجمهوريون إلى الحكم أم خصومهم الديمقراطيون.

ريتشارد بيرل وداغ فايت، يهوديان بارزان في وزارة الدفاع الأمريكية، رسما صورة الشرق الأوسط الجديد ومخطط الحرب على العراق، بالتنسيق مع الحكومة الإسرائيلية.

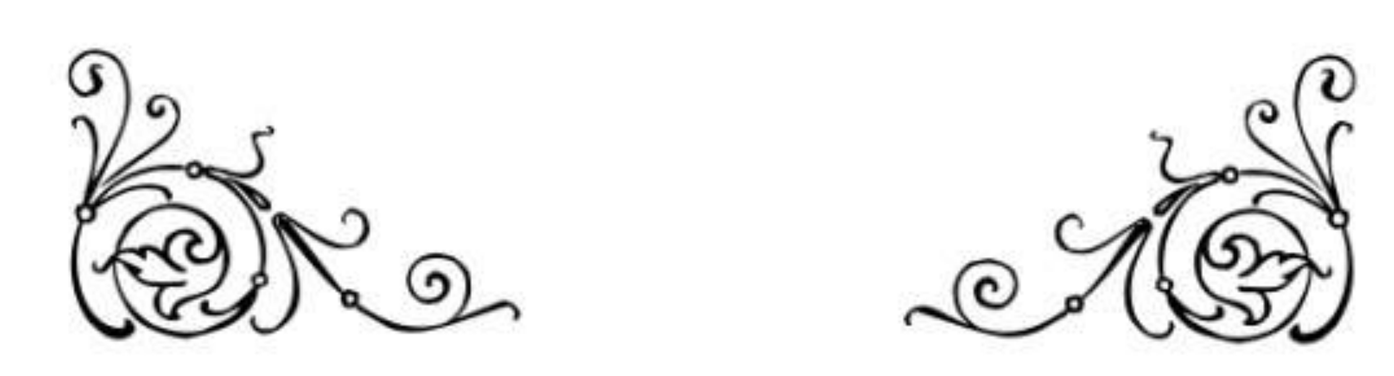
ريتشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية، وستيف هيدلي نائب مستشارة الأمن القومي، وبول وولفويتز نائب وزير الدفاع.. وكلّهم من أبرز الصقور الصهاينة في الإدارة الأمريكية.

جون بولوتون وكيل وزارة الخارجية، وستيفن كامبون رئيس مكتب البرامج والتحليل والتقويم في وزارة الدفاع، واليوت كوهين وديفون كروس، العضوان البارزان في مجلس سياسات الدفاع الذي يقدم النصح لوزير الدفاع دونالد رامسفيلد، ولويس ليبي، رئيس هيئة مستشاري ديك تشيني، نائب الرئيس، ودوف زاخيم، مراقب النفقات في وزارة الدفاع.. كلهم من الصهاينة..

وهذا يكفي.. والحديث عن هيمنة الصهاينة على الكونجرس، مسألة معروفة، يلمسها ويراها الناس في كل مكان.. صباح مساء..

ومعروف أيضاً التعاطف المطلق لرموز السلطة العليا: بوش وتشيني ورايس ورامسفيلد وباول، مع مطالب اللوبي وإسرائيل.. وتسليمهم بخرافة (الهرمجدون).. واختراقهم بالمسيحية الجديدة أو البروتستانتية المتصهينة.. وتحوّلهم إلى سدنة في معبد إسرائيل..

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فها هو ذا العلوّ الثاني الكبير الذي يؤذن بمعركة الوعد الحق الحاسمة التي لا ريب فيها..



ظلال رمادية
حول مشروع الشرق الأوسط الكبير
١ / ٢

إنها لإحدى المفارقات المضحكة المبكية من بين عشرات المفارقات التي تشهدها الساحة العربية.

يفشل العرب على مدى أكثر من خمسين عاماً في تحقيق الوحدة، فتجيء أمريكة لكي تعلّمهم كيف تكون الوحدة.

ويعجزون عن إنشاء سوق عربية مشتركة فيجيء شيمون بيريز لكي يعلمهم كيف تقوم.

ويتلكؤون في إصلاح أوضاعهم المهترئة، والتحقّق ولو بالحدّ الأدنى من الحرية و(الديمقراطية!)، فتتحرك أمريكة لكي تقرض عليهم الإصلاح وتمنحهم ما حرموه طويلاً..

مشروع الشرق الأوسط الكبير!!

هذه هي التقليعة الأكثر حداثة في مسلسل المنح الأمريكية السخية للأمم والشعوب المستعبدة، والمتخلفة..

ولقد شهدت الآونة الأخيرة تصعيداً أمريكياً واضحاً في اتجاه فرض مشروع الشرق الأوسط الكبير على المنطقة العربية. وفي هذا الصدد تقدم نحو ثلاثين عضواً بالكونجرس الأمريكي باقتراحات تقضي بإعداد دستور أو

قانون أساسي أمريكي تلتزم به البلاد العربية كأساس نهائي للإصلاح والتطوير. وتقترح مذكرة أعضاء الكونجرس التي نقلت إلى البيت البيض والخارجية الأمريكية، أن يتم منح الدول العربية مهلة لا تتجاوز الستة أشهر فقط لتعديل دساتيرها القائمة حالياً.

ومن ضمن المسائل المهمة التي أكدتها المذكرة، الاعتراف بالخصائص الجغرافية في كل دولة وبما يؤدي إلى منح استقلال ذاتي محدود لبعض الطوائف أو الأقليات في إدارة شؤونها الداخلية، أو في تمثيلها لدى الحكومة، أو في تعاونها واتصالاتها مع الجهات الأجنبية!

ووفق المذكرة الأمريكية لا يجب الاعتراف بالإسلام في خطة الإصلاح القادمة كمصدر للتشريع، أو مدلول حكم، أو نهج سياسي، إلّا في الشكل الذي لا تتعارض فيه مبادئه مع جميع أنواع المصادر الأخرى العلمانية والعلمية! معاً، وأنه في حال التعارض فإن الغلبة تكون للمصادر الأخيرة. ويتم تقزيم المبادئ الإسلامية لكي تكون نهجاً دينياً فقط. وحتى في الحالة الأخيرة فإن الرقابة على الإسلام كمنهج ديني ستتطابق مع حذف كل المبادئ والأفكار التي تحض على التطرف والعنف، أو التي تسبّب المزيد من التوتر بفعل أحداث إرهابية.

وتؤكد المذكرة أن كافة أنواع الشعارات الدينية أو بعض الرموز أو الأعمال الافتتاحية التي تتم باسم الدين، يجب أن تختفي من مظاهر ممارسة السلطة، لأن فكرة الدين تنبع أساساً من اقتناع داخلي، وأن هذا الاقتناع يجب أن يكون في داخل كل فرد، وأن الأفراد ليسوا ملزمين بالإفصاح عنه بين الحين والآخر، وأن كل الأعمال الرسمية الافتتاحية أو الجلسات الرسمية أو المؤتمرات أو الندوات، أو كل ما يأخذ نطاق العمل الحكومي والبرلماني والقضائي والعسكري وغيره، يجب أن يفتتح باسم الحرية والديمقراطية والشعب ومبادئ الدولة العليا.

ووفق هذا النموذج فإنه لا يجوز مثلاً افتتاح جلسات مجلس الشعب بالآية القرآنية التي تقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أو أن يبدأ رئيس الجمهورية خطابه أو ينهيه بآية قرآنية. بل إن (**بسم الله الرحمن الرحيم**) تعد رمزاً دينياً كما ورد في المذكرة الأمريكية، وعلى هذا الأساس يجب إلغاء استخدامها، وأن يتم استبدالها (**باسم الشعب وباسم الديمقراطية والحرية**) وغير ذلك من المعاني الدينية!!

ظلال رمادية
حول مشروع الشرق الأوسط الكبير
٢ / ٢

. . وتشير مذكرة الكونجرس إلى أن إحدى الآفات الكبرى المنتشرة في الدول العربية هي تسييس الدين وتديين السياسة! وأن ذلك يعني أن الحكام في هذه المنطقة يبرّرون العديد من إجراءاتهم وأفعالهم السياسية من أجل اكتساب الشرعية، وأن هذا هو الذي أدى إلى انتشار العنف والإرهاب في هذه المنطقة، وألقى بظلاله الكثيفة على الأمن العالمي. فالأحداث الإرهابية في فلسطين تم تديينها للشباب بأنها مصدر السعادة الأخروية «الاستشهاد»!!

والديكتاتورية وعدم نشر الديمقراطية تم تديينهما بطاعة الحاكم باعتباره ولياً للأمر بالخير والنهي عن كل شرّ.

إن مثل هذه المبادئ تعوق بالفعل ـ كما ترى المذكرة ـ عمليات الإصلاح الديمقراطي، لأن إطار الفصل الكامل بين ما هو ديني وذي محتوى إسلامي، وبين ما هو سياسي وذي محتوى لحكم الشعوب، هو المنطق الطبيعي لحريات الرأي والفكر.

وبحسب المذكرة فإن أحد الاقتراحات المهمة لدعم الدساتير العربية هو أن يتضمن التأكيد على حرية الأفراد في العقيدة والممارسة الدينية؛ التي يجب أن تكون بعيدة عن أي تدخل سياسي أو حكومي.

ومن ضمن الأفكار الأمريكية المقترحة في مذكرة الكونجرس أن يتضمن الدستور المقترح باباً خاصاً عن الحريات بحيث يكون شاملاً لعدد كبير من الحريات الأساسية الواردة في الدستور الأمريكي (!!) وأن هذا النموذج الأمريكي سوف يتم وضع آليات عملية لتنفيذه في القوانين المختلفة، وأن هناك حداً أدنى من الحريات يجب تضمينها في كل هذه الدساتير؛ من بينها: حرية الفكر والتعبير البنّاء.

ووفق المعلومات فإن المقصود من وراء ذلك هو تقييد نسبي لحرية الصحافة في حال ما إذا تهجمت على السياسة الأمريكية (!!) أو عملت على الإساءة للعلاقات الأمريكية ـ العربية من وجهة النظر الأمريكية. كما أن لفظة (التعبير البناء) تتضمن أن تكون الحرية مكفولة في الإطار الذي يحقق مصلحة الدولة العليا في علاقاتها مع الولايات المتحدة، أو الدول الصديقة. بل إن هذه اللفظة ـ تحديداً ـ وبحسب المعلومات، قد تتيح للجانب الأمريكي إغلاق بعض الصحف، أو تسخيرها لأغراض معينة في حال عدم التزامها بالتعبير البنّاء، بدعوى أن تعبيراتها هدامة وغير محققة لأغراض البناء اللازمة.

وعلى الرغم من ذلك فقد أضافت المذكرة في موضع آخر تعبيراً آخر للحرية وهو «حرية الكلمة والأفعال السلمية»، دون توضيح للمقصود بكلمة «الأفعال السلمية»، وما هو المعنى الذي تقصده من إضافة الأفعال السلمية إلى حرية الكلمة.

وإلى الحدّ الذي يجعل مفهوم الديمقراطية متوافقاً فقط مع وجهة النظر الأمريكية، وبالإطار الذي يحقق المصلحة الأمريكية فقط.




كوميديا
الحمائم.. والصقور!!
١ / ٢

الذي يحدث في الساحة الإسرائيلية في مسألة تبادل المواقع بين حزبي العمال والليكود، يحدث في الساحة الأمريكية، ليس فقط بين الجمهوريين والديمقراطيين، ولكن داخل الحزب الواحد أحياناً، كالذي جرى ويجري بين الحمائم والصقور في الإدارة الأمريكية الراهنة تحت مظلة الحزب الجمهوري الحاكم.

وفي الحالتين الإسرائيلية والأمريكية، فإن الطرفين معاً متفقان ـ ابتداء ـ على ثوابت محددة لا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال.. وبالتالي فليس ثمة تغاير جذري عميق، على مستوى العقيدة السياسية أو الممارسة الواقعية، سواء صعد إلى سدة الحكم هذا الطرف أو ذاك، أو تغلّبت هذه الفئة أو تلك.

وفي الحالتين الإسرائيلية والأمريكية، فإن الضحية دائماً هي الشعوب المقهورة، المغلوبة على أمرها، وبخاصة تلك التي قدر لها أن تنتمي أو تحسب على عالم العروبة والإسلام!!

والذي شهدته وتشهده فلسطين على أيدي العلمانيين أو المتدينين، هو عين ما شهده وسيشهده العراق وأفغانستان وغيرهما من الشعوب المستضعفة على أيدي الجمهوريين والديمقراطيين.

هذه مسائل معروفة للقاصي والداني، ولكني أريد أن أقف قليلاً عند كوميديا الصراع، الذي طالما تحدث عنه الإعلاميون، بين صقور الإدارة الأمريكية وحمائمها. وهي كوميديا تستحق أن تتهافت الجماهير على شبابيك التذاكر لمشاهدتها بعد غياب زمن بود أبوت ولوكاستيلو، ونورمان ويزدم، ولوريل وهاردي..

بطلها هو وزير الخارجية الأمريكي كولن باول.. ولندع الإعلامي والكاتب المعروف الأستاذ أحمد منصور يحدثنا عن الموضوع بتفاصيله في كتاب **(قصة سقوط بغداد)** الذي صدر عن الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم في بيروت في العام الفائت:

رغم أن الاستطلاعات الأمريكية التي نشرت في شهر تموز من عام ٢٠٠٢ م كانت تؤكد على أن وزير الخارجية الأمريكي كولن باول يحظى بشعبية تفوق شعبية الرئيس الأمريكي جورج بوش نفسه؛ حيث حصل في استطلاعات الرأي تلك على نسبة تأييد وصلت إلى ٨٥٪ مقابل ٧٢٪ للرئيس، إلّا أن السؤال الأساسي الذي كان يطرح على باول في كل مؤتمراته الصحفية آنذاك هو عن حقيقة استعداده للاستقالة ومغادرة الإدارة الأمريكية بعد الانتخابات التشريعية التي كانت مقررة في تشرين الثاني من ذلك العام. فالرجل الذي قضى ما يقرب من عشرين شهراً في منصبه حتى ذلك الوقت، كان قد بدأ يشعر بعزلة شديدة داخل الإدارة التي أصبح يسيطر عليها التكتل اليميني المتطرف في الولايات المتحدة والذي من أبرز قادته: نائب الرئيس ديك تشيني، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، ومستشارة الأمن القومي كوندليزا رايس، ووزير العدل جون اشكروفت، والمستشار السياسي الأكثر قرباً من بوش كارل روف، وريتشارد بيرل الذي يوصف بأنه زعيم الليكود الصهيوني في الولايات المتحدة، ووكيل وزارة الدفاع دوف زاكيم،

علاوة على نائب وزير الدفاع بول وولفويتز الذي تولى ملف تنفيذ المخطط الأمريكي ضد العراق.

وسط هذه العصابة ـ حسب وصف باول آنذاك ـ التي تعزف على وتر واحد، هو وتر الانحياز الكامل لإسرائيل ومصالحها، وتنفيذ المخطط الأمريكي للحرب على العراق، وجد باول نفسه يعزف وحيداً بعيداً عنهم في الوقت الذي من المفترض أن يحتل فيه فعلياً المنصب التالي للرئيس من حيث الأهمية حسب العرف الأمريكي الشائع عالمياً منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن.




كوميديا
الحمائم.. والصقور!!
٢/٢

إذا راقبنا المهام الخارجية للولايات المتحدة خلال فترة العشرين شهراً الأولى التي قضاها باول في منصبه؛ نجد أن وزير الدفاع رامسفيلد ونائبه وولفيتز وكونداليزا رايس ورئيس وكالة المخابرات الأمريكية جورج تينيت، ربما كانت تحركاتهم الخارجية أكثر منه. والأدهى من ذلك أن معظم مقترحات باول لم تكن تحظى بأي اهتمام من بوش الذي كان يوجه وبشكل كامل من قبل فريق عمل في وزارة الدفاع أصبح هو الذي يرسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، ويكتب تقارير يومية للرئيس حول التصور الأمريكي للقضايا الدولية، وتتولى مستشارة الرئيس للأمن القومي تقديمها له. ولأن الرئيس كما يعلم الجميع ضعيف في إلمامه بالسياسة الخارجية أصبحت هذه التقارير هي التي توجهه بشكل مباشر، أما وزارة الخارجية فقد تم تهميش تقاريرها وتوصياتها، حتى إن باول تلقى صفعتين متتاليتين خلال شهري حزيران وتموز من عام ٢٠٠٢ م.

الأولى كانت في خطاب بوش حول الرؤية الأمريكية لحل القضية الفلسطينية، حيث تبنى توجهاً مضاداً لتوجه باول الذي كان يرى أن الحل يجب أن يكون من خلال الرئيس عرفات، إلا أن بوش طالب بتنحية عرفات مما دفع مسؤولين في الخارجية الأمريكية إلى أن يدلوا بتصريحات صحفية

عبروا فيها عن ذهولهم حينما كانوا يستمعون إلى خطاب بوش. . الذي جاء إضعافاً لمكانة باول الذي كان قد قال قبل ذلك بأسبوعين في مقابلة صحفية: إنه لا يوافق على موقف رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون الذي يرفض الاعتراف بعرفات كقائد للشعب الفلسطيني.

ورغم أن تكهنات كثير من المراقبين آنذاك كانت تشير بل تؤكد أن باول شخص ليس سريع الاستسلام، إلا أن آخرين كانوا يؤكدون أن باول في طريقه فعلاً للخروج من الإدارة الأمريكية نهاية عام ٢٠٠٢م، لكن باول الذي كان يتنقل في سياسته من فشل إلى فشل، وكان يجب أن يظهر كمن يرتدي بزة «رجل السلام»، والذي يعزف على وتر خاص بعيد عن دعاة الحرب في الإدارة الأمريكية، سرعان ما كشف عن سترته الحقيقية وهي سترة الحرب التي لم يخلعها!

ومع بداية عام ٢٠٠٣م أصبح باول الناطق باسم صقور الحرب داخل البيت الأبيض. فالرجل الذي غير بزته العسكرية لبعض الوقت تحول أمام مجلس الأمن يوم الأربعاء ٥ شباط ٢٠٠٣م إلى مدَّعٍ عسكري.

وتعود أصول باول إلى جامايكا حيث كان جده من جهة والده يهودياً، كما أنه ترعرع في منطقة ذات كثافة يهودية عالية في نيويورك، وهو يتحدث اللغة اليديشية التي يتحدث بها يهود نيويورك.

ولقد استطاع صقور الإدارة الأمريكية أن يجعلوه يدفع ثمن بقائه بعدما أضعفوا موقفه ودوره في وزارة الخارجية طيلة فترة وجوده فيها. . ثم ما لبثوا أن دفعوه ليكون هو رأس الحربة والمدعي الرئيسي في موضوع كان يحاول أن يظهر بأنه معارض له، وأنه إذا أراد البقاء فعليه أن «يبتلع» كل تصريحاته وادعاءاته السابقة بإعطاء الجانب السلمي والسياسي الفرصة الأولى. وقد فعل الرجل ما طلب منه.

إن الذي تؤكده تلك التحولات في أداء باول أنه لا يوجد ما يسمى بالصقور والحمائم داخل إدارة أمريكية متجانسة يعرف كل منهم فيها دوره، وأن الاعتماد على مبدأ الصقور والحمائم وهم يؤكده الصراع العربي الإسرائيلي. وما دام السيد باول قد ارتدى سترته العسكرية فقد أعلن بوضوح أنه أحد صقور الحرب الأمريكية ضد العراق.




مزايدات..

يتسابق الساسة الأمريكيون، جمهوريون وديمقراطيون، وعلى كل المستويات الرئاسية والوزارية والأمنية والإدارية، لاسترضاء اللوبي اليهودي داخل الولايات المتحدة، من أجل ضمان الفوز بالمناصب الكبرى، أو الاستمرار فيها.

وبغض النظر عن منظومة القيم الدينية والخلقية والإنسانية، بل بغض النظر عن مطالب المصالح القومية العليا للولايات المتحدة نفسها، يمضي هؤلاء في مزايداتهم، وتملقهم، ومداهناتهم، وتنازلاتهم، من أجل تحقيق المطلوب.. والمطلوب هو الفوز بالمقاعد الكبرى أو الاستمرار فيها.

الشعب الأمريكي نفسه.. وحتى الديمقراطية التي يزعمون أنها الأكثر اكتمالاً في العالم، بل الدين المسيحي نفسه، يُضحَّى بهما جميعاً لاسترضاء اللوبي اليهودي، كي يمنحهم «الرضا» ويعينهم على تحقيق المطلوب.. والمطلوب دائماً هو ضمان الفوز بالمناصب العليا، أو الاستمرار فيها.

أما الاقتصاد الأمريكي، وكل ما يرتبط به في دوائر المال، ومعدلات الضرائب، فقد أصبح فرصة للابتزاز، من أجل أن يدفع الأمريكي أكثر وتأخذ إسرائيل أكثر.. وتتحول القدرات المالية الأسطورية للولايات المتحدة إلى ضرع دسم يدرّ في فم إسرائيل وسدنتها في أمريكة نفسها.

تصريحات ومزايدات المرشحين الديمقراطي والجمهوري للانتخابات الرئاسية: كيري وبوش، لصالح إسرائيل والصهيونية، معروفة للقاصي والداني.. فليس ثمة مبرر للخوض فيها.

فلننزل قليلاً باتجاه الخط الثاني في منظومة المفاصل السياسية والإدارية الكبرى، لكي نجد الحالة نفسها، حيث يتسابق الوزراء وكبار المسؤولين في الإدارة الأمريكية وخارجها، لاسترضاء «اليهود»، من أجل تحقيق المطلوب، حتى لو كان هذا الاسترضاء يتناقض بزاوية مئة وثمانين درجة عن المصالح القومية لأمريكة والشعب الأمريكي.

وإليكم حالة واحدة فحسب من بين عشرات ومئات الحالات قد تكفي في عجالةٍ كهذه، نقلاً عن وكالات الأنباء:

وصف كولن باول، وزير الخارجية الأمريكي، الولايات المتحدة بأنها دولة يهودية مسيحية، لكنه سارع وصحّح عبارته قائلاً: إنها دولة متعددة الأديان.

ويحظر الدستور الأمريكي، وفقاً للتعديل الأول، قيام دولة على أساس ديني، وهي مادة فسرت دوماً على الفصل بين الكنيسة والدولة، وإن كان ناشطون مسيحيون يجادلون في ذلك.

وقد أدلى باول بهذا التصريح في برنامج «تشارلي روز» التلفزيوني الذي يذيعه التلفزيون الأمريكي الرسمي، حين كان يتحدث عن رؤية واشنطون بشأن الحكومة التي يجب تشكيلها في العراق. وقال باول عن العراق: إنه يأمل أن يكون دولة مسلمة ديناً، مثلما نحن دولة يهودية مسيحية، وسارع إلى تصحيح عبارته واستطرد قائلاً: يصعب قول ذلك الآن، لكننا دولة متعددة الأديان..

ورغم أن تصريحات كهذه تغضب ملايين الأمريكيين المسلمين الذين يسعى غالبيتهم جاهدين للانخراط في المجتمع الأمريكي، فإن المهم لدى الساسة الأمريكيين هو استرضاء اليهود وليس المسلمين!




مكيالان!

لم يحدث في تاريخ أمريكة أن انكشف مكيالها المزدوج كما ينكشف الآن، ويتعرّى حتى من ورقة التوت الأخيرة.

ومكان الاختبار هو دائماً عالم الإسلام المنكود بالجبروت الأمريكي، المنحاز إلى خصوم هذا العالم بزاوية ميل مقدارها مئة وثمانون درجة!

والوقائع كثيرة.. كثيرة جداً.. وهي لغزارتها وتدفّقها غدت أشبه بالمياومات التي نعايشها ونراها ونكتوي بنارها صباح مساء..

وتختلط أوراق الحق والباطل.. والأبيض والأسود.. وتغيّب منظومة القيم الخلقية والدينية والإنسانية.. ويصير الباطل حقاً، والأسود أبيضَ.. وتعاد صياغة قواميس اللغة لكي تنقلب دلالة الكلمات هي الأخرى، فلا تومئ إلا بعكس ما اتفق عليه الأولون والآخرون.

الوقائع كثيرة، تتشكل وتمتد على مساحة خمسة وعشرين عاماً أو تزيد.. وتنتشر كالبقع السرطانية على مدى جغرافية عالم الإسلام من أقصاه إلى أقصاه.

ولن يتسع المجال للوقوف عندها جميعاً، بل حتى للتأشير عليها، ولذا سيتم الاكتفاء باثنتين فحسب مما رأيناه وسمعناه وعايشناه ولا نزال.

كشمير المغتصبة التي تقاتل الطاغوت الهندي من أجل استرجاع حرّيتها والخروج من القبضة الهندوسية التي ابتزتها لعشرات السنين.. إنها بكل المعايير، قضية حق واضح، حتى في حالة إحالته على المنطوق الأمريكي

نفسه في تعامله مع ما يدّعيه من حماية حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير المصير.

ومع ذلك تظل أمريكة صامتة، لا تحاول أن تقول شيئاً بخصوص هذا الشعب الصغير المضطهد، بل إنها تمضي وفق مطالب الفلسفة الذرائعية اللا أخلاقية، إلى أبعد من هذا، فتنحاز إلى الهند وتعطيها الإشارة الخضراء لاغتيال حق الشعب المسلم في التحرّر والاستقلال.

الشيء نفسه فعلته ولا تزال مع شعب المورو المسلم جنوب الفيليبين.. باركت طواغيت مانيلا، وأعطتهم السكين التي يذبحون بها حق هذا الشعب في التحرّر والاستقلال، على الأقل في إطار حكم ذاتي يكون فيه لمسلمي الفيليبين مكان إزاء الابتزاز الديني هناك.

في مقابل هذا نجد أمريكة ـ ومن ورائها حليفاتها ـ ترمي بثقلها إلى جانب الانفصاليين في تيمور الشرقية، وتمارس ضغوطها التي لا تقهر على السلطة الإندونيسية، بلسان الحال أو لسان المقال، من أجل رفع يدها عن شعب الإقليم، ومنحه الحق في الانفصال.

لماذا؟ لأن المطالبين (بالحق) في الحالتين الأولى والثانية مسلمون بينما هم في الحالة الأخيرة مسيحيون!

ها هي ذي أمريكة تميل للمرة العشرين أو الثلاثين عن بداهات حقوق الإنسان، لأن الذي يحركها ليس الحق، ولا حتى المصلحة القومية العليا، وإنما مراكز اتخاذ القرار والمافيات العملاقة التي أصبحت على جبروتها طعماً سهلاً للمسيحية المتصهينة التي تمسك الآن برقاب داعية الحرية وحقوق الإنسان.

عودة الاستعمار القديم

ها هو ذا الاستعمار القديم يعود.. الجيوش والعتاد والبوارج والدبابات والطائرات..

يدور الزمن دورته، ثم ما يلبث أن يرجع إلى هيئته الأولى.. فإذا بديار الإسلام تتلقى دفعة أشد ضراوة وهولاً مما لا قياس على الإطلاق من تلك التي تلقتها زمن الاستعمار القديم.

ها هنا القنابل العنقودية، والصواريخ عابرة القارات، والطائرات الـ بي ٥٢، والقنابل الذكية والغبية، وذات الأطنان التسعة التي تعادل كل منها نصف القنبلة الذرية التي ألقيت واحدة منها على هيروشيما والأخرى على ناغازاكي اليابانيتين، فيما لا تزال ذراري اليابانيين تعاني منه الأمرّين.

ها هنا ـ أيضاً ـ اليورانيوم المنضّب الذي يزرع الموت والوباء، ويسمّم الأرض والهواء، وينفث في رحم الحياة والأشياء الاستعداد للسرطان الذي يفترس الأخضر واليابس.

الجنود الأمريكيون تدفقوا على لبنان حيناً، وعلى الصومال حيناً آخر.. وعلى أفغانستان حيناً ثالثاً، وها هم الآن يتدفقون على العراق لكي ينتشروا في مدنه ومحافظاته، ويتخذوا فيها مواقعهم المحصّنة ويعلنوا بلسان المقال حيناً ولسان الحال في معظم الأحيان بأنهم لن يغادروه قبل مضيّ سنوات وسنوات، وقبل أن يضمنوا استمرار مصالحهم فيه، وضمان حمايتها من قبل ممثليهم في البلد المنكوب.

أية حضارة هذه وأية مدنيّة؟ إنهم يرجعون بعقارب الساعة إلى الوراء.. إلى القرنين الماضيين، لكي يعيدوا مأساة استعباد القويّ للضعيف، وإمساك الغربي المتفوّق بمصائر ومقدّرات عالم الإسلام الذي فك ارتباطه منذ زمن بعيد بمشروعه الكبير المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والذي يملك القدرة على حماية الأمة، والذي يعرف كيف يكسر اليد التي تمتد إليها بسوء.

ودائماً يجد الإنسان نفسه مضطراً لتذكر المعادلات القرآنية الحاسمة، الصارمة، في هذا المجال، والتي تفسّر تماماً: لماذا هزمنا عبر القرون الماضية؟ ولماذا نهزم الآن: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ..﴾.

ودائماً كان فعلنا الخاطئ هو الذي يجذب إلينا الأعاصير المدمّرة من الشرق والغرب..

وها هو ذا الإعصار الأمريكي المبطن بالمكر اليهودي، يدوّي فوق رؤوسنا، ولا ندري إلى أين سيمضي، وما الذي يريد، بعد أن وضع العراق ونفط العراق في جيبه، وضمن خزيناً احتياطياً هو الأكبر من نوعه في العالم كلّه؟!

الاستعمار القديم يعود.. وها هي ذي الخوذ الأمريكية تتلامع في مدن العراق، تؤكد فيما لا يقبل مجالاً للشك، بأنه ليس ثمة تقدم حقيقي للبشرية.. تقدم يمضي بها صعداً صوب الأعلى والأكثر انسجاماً مع إنسانية الإنسان، وقيمه، إلا بأن تكون الكلمة لهذا الدين، وصياغة المصائر والمقدرات بيد أبناء هذا الدين..

وإلا فإن عقارب الساعة ستظل تدور وترجع بالبشرية حيناً بعد حين إلى الحفر الضيّقة التي كانت قد غادرتها يوماً، وها هي ذي تعود لكي تعاني من الاختناق، والضيق، وغياب كل عناصر وقيم الخير والحق والإنسانية والجمال..




الخزين الكبير

الخزين الاحتياطي لنفط العراق، أصبح أو سيصبح عما قريب، أضخم خزين للنفط في العالم كلّه. . يكفي أن نتذكر التسمية التي أطلقت منذ زمن على واحد من حقول النفط في جنوب العراق: (حقل مجنون). . لا لشيء إلا لأنه سئم الاعتقال تحت الأرض، على مدى عشرات القرون، وأصبح يتململ بين الحين والحين لكي يطلّ برأسه من هناك، تماماً كما كان عفريت ألف ليلة وليلة يطل برأسه من القمقم المسحور لكي ما يلبث أن يثور ويموج. .الأهالي في محافظة ميسان الجنوبية، ما كان أحدهم يضرب فأسه في الأرض حتى تنبجس منها فوّارات النفط المحبوس، تريد أن تتدفّق بحريّة، وأن تنساح إلى كل مكان. .

قيل بأن السلطة السابقة في العراق كانت قد منحت حق التنقيب في هذا الحقل العملاق لمجموعة من الشركات الفرنسية، وأن إسراع أمريكة بإعلان الحرب على العراق، ووضع الطين والعجين في أذنيها كي لا تصغي إلى كل الدعوات المنادية باعتماد الأساليب السلمية وتجنّب ويلات الحرب، إنما كان سببه الأوّل، ودافعه الأساس، هو قطع الطريق على المحاولة قبل أن يقع الفأس في الرأس، وتتمكن فرنسة من خلال نفط «مجنون» من تأكيد استقلاليتها، وربما استقطابها لدول الاتحاد الأوروبي والسوق الأوروبية المشتركة، وتشكيل قطبية جديدة تجابه القطبية الأمريكية الأحادية التي تستأثر بالعالم وتتفرّد بحكمه.

إن وضع اليد على الخزين الكبير لنفط العراق يعني فيما يعنيه، ليس فقط قطع الطريق على الدول الأوربية لإعادة العالم إلى توازنه المفقود، بعد غياب التعددية القطبية، ومنع أمريكة من الانفراد بحكم العالم، وإنما ـ إلى جانب هذا ـ تمكين الحياة الأمريكية بكل مصالحها وأهدافها وقيمها وطرائقها في الحياة، من الاستمرار والديمومة، ربما لقرن آخر من الزمن.

وهذان الهدفان، في المنظور البراغماتي الصرف، يجعلان أمريكة تصرّ منذ اللحظات الأولى على تحقيق هدفها بوضع اليد على نفط العراق من خلال آلة الحرب الجهنمية التي تمسك بها مافيا النفط الأمريكية التي تتفرد الآن بالسلطة العليا في البيت الأبيض، وتوظّف منصب الرئاسة لتحقيق المزيد من الأرباح.

ومعروف أن بوش الأب وبوش الابن ونائبه ديك تشيني، ووزير دفاعه رامسفيلد، ومسؤولة الأمن القومي في البيت الأبيض رايس، هم أعضاء كبار في إدارة واحدة من أضخم كارتلات النفط العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومنذ اللحظات الأولى، كانت كل المؤشرات تومئ بلسان الحال أو لسان المقال، بأن أمريكة ستمتطي ماكنة الحرب، وستصمّ أذنيها عن كل نداءات السلام.. ذلك أن الأهداف التي ستحققها القوة، ويضمنها التفوّق الأسطوري لتكنولوجيا الحرب، تستحق ـ فعلاً ـ في المنظور المصلحي وعلى المستويين الخاص والعام، تلبية نداءات الإغراء.

المستوى الخاص يجعل الضرع العراقي يدرّ في أفواه ملوك النفط الذين قدّر لهم أن يصلوا إلى البيت الأبيض.

والمستوى العام، في منح أمريكة ضمانات الاستمرار الحضاري لقرن من الزمن أو يزيد..

وساذج مغفل كل من خيّل إليه أن أمريكة كان يمكن أن تتراجع عن قرار الحرب، لأن شعوب العالم ودوله ومنظماته، بل الشعب الأمريكي نفسه، فضلاً عن منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وقفت في وجهه، وبحّت أصواتها، في محاولة مستميتة، لمنع آلة الحرب من أن تبدأ دورتها المؤذنة بالويل والدمار.




الصراع على الماء

وهذا هو مكسب آخر من مكاسب إعلان الحرب على العراق سيتحقق لإسرائيل هذه المرة، ضمن العطايا والمنح الكبيرة التي قدّمتها أمريكة لها منذ قيامها وحتى اللحظات الراهنة.

إذا كان النفط سيذهب للجيب الأمريكي بالدرجة الأولى، فإن الماء يراد له أن يصبّ في أفواه «بني إسرائيل» أولاً وأخيراً..

«إسرائيل» التي تعاني من شحّة مواردها المائية، ويتحلّب ريقها منذ زمن بعيد لمورد مائي سخيّ ودائم يمنحها الأمن المهزوز.

إن العراق ـ قياساً على مساحته ـ يعد واحداً من أكثر دول العالم غنى في ثروته المائية: نهران كبيران وثلاثة فروع كبرى هي الأخرى: دجلة والفرات والزابان الأعلى والأسفل وديالي.. هذا فضلاً عن خزين جوفي كبير، وشبكة أسطورية من العيون والجداول والبحيرات.

وتحويل الثروة المائية في العراق إلى «إسرائيل» ليست مستحيلة، كما يبدو للوهلة الأولى، فثمة المنابع في الأراضي التركية، وثمة التقلّبات السياسية المتواصلة هناك، فيما قد يتيح وصول حزب علماني صديق لإسرائيل، إلى السلطة، لا يرى مانعاً البتّة من عقد الصفقة الشيطانية التي تمّ انتظارها طويلاً بين الطرفين، وتحويل الفائض المائي إلى «إسرائيل» عبر قنوات ستمدّ لهذا الغرض رغماً عن دول الجوار، وبمباركة وحراسة أمريكة نفسها.

والتاريخ لا يمنح فرصه مرتين، كما يقول المثل، ولعل الجغرافية لا تمنح هي الأخرى فرصها مرتين.

لقد حبا الله سبحانه العراق، والعديد من الدول العربية والإسلامية، ودول العالم الثالث عموماً، بواحدة من نعمه الكبرى: الماء. ولكن حكومات هذه البلدان، طالما أغمضت عيونها عن هذه المنحة الكبيرة، ولم تحاول ـ إلا في القليل النادر وفي الحدود الدنيا ـ أن توظف هذا الخزين الذي لا يقل أهمية عن أغنى معادن الأرض وكنوزها، بل على العكس، لم تلتفت حتى إلى ضرورة شكم تدفّقه وإلجام غضبه بتخطيط محكم ومدروس لتقنيات الريّ، فكان ينقلب عليها وبالاً زمن الفيضانات والسيول، وتتحوّل النعمة الكبرى إلى نقمة تلحق الويل والدمار بالمزارع والحقول، بل بالقرى والمدن المنتشرة على ضفاف الأنهار.

ها هو عقاب الله سبحانه يتنزّل على الذين أنكروا نعمته، فتمتد يد لصوص البشرية وقراصنة العالم، ومفسدي الأرض، وموقدي الفتن والحروب، لكي تسرق الماء من أفواه أصحابه، فتقتلهم عطشاً.

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾.

الصرخة المختنقة

هنالك، داخل الولايات المتحدة الأمريكية أصوات مخلصة تدرك الحقيقة، وترى بأم عينيها كيف تقود مافيات النفط والمال، واللوبيات اليهودية، أمريكة، إلى الاصطراع مع المصالح القومية العليا لأمريكة نفسها، وثوابتها التاريخية، وتقاليدها التي نسجها، وسهر عليها، وضحى من أجلها، أبناء أمريكة أنفسهم، برؤسائهم الذين كانوا أكثر تفانياً وإخلاصاً وتشبثاً بالمصلحة العامة للأمة، وليس بمصالحهم الضيقة المحدودة، ومذهبياتهم المنحرفة، وسلوكهم الطائش، وخنوعهم غير المبرّر على الإطلاق للعلق اليهودي يستنزفهم ويستنزف معهم القدرات الأمريكية حتى النخاع.

لا يمكن بحال من الأحوال أن تمرّر اللعبة القذرة على عقل الأمريكي ووجدانه، وهي تمارس بهذا القدر الفاضح من التكشّف والوضوح، دون أن تكون هناك، بنسبة أو أخرى، شرائح من الأمريكيين ترفض اللعبة، وتستهجنها، وترى فيها ضياعاً محتوماً لأمريكة والأمريكيين، إن لم يكن اليوم فغداً، وإن لم يكن في الغد فبعد غد، والتاريخ لا يقاس بالأيام والسنين، ولكن ـ ربما ـ بالعقود والقرون.

تتراكم أعمال السوء، وتتجمع نويات السرطان التي لا تكاد ترى، لكي ما تلبث أن تنتشر هنا وهناك، وتفترس الأخضر واليابس..

بعض الأمريكيين نبّهوا إلى هذا المصير المفجع، وأشاروا في مقالاتهم وندواتهم ومؤلفاتهم، وعبر وسائل الإعلام، وفق الهامش الضيّق المتاح،

إلى هذا الذي يتهدّد أمريكة، ودعوا بحرارة وصدق وإخلاص، إلى إيقاف اللعبة، وبيّنوا كم أن القيادات الأمريكية الأخيرة اندفعت بأكثر مما يجب وراء إغواء المصالح الخاصة حيناً، والضغوط اليهودية في معظم الأحيان.. وأن هذا لن يمضي بدون ثمن أو عقاب قد يأتي على الأخضر واليابس..

فئة أخرى من الأمريكيين تجاوزت الرفض بالكلمة.. إلى الرفض بالفعل، وانتهى الأمر بالفئتين إلى العزل الوظيفي أو الاجتماعي، وإلى تلقّي حملات إعلامية تنوء بثقلها العصبة أولو القوة، بل إن بعضهم الآخر تعرّض للتصفية الجسدية، أو على الأقل أرغم على الاختفاء.

فئة ثالثة اكتفت بالرفض السلبي، واحتفظت في ذوات أنفسها ـ دون أن تعلن عن قناعاتها ـ بقدر كبير من المقت والكراهية لهذا الذي تشهده أمريكة، وينفذه ساساتها الكبار فيما هو نقيض ـ ابتداء ـ لكل ما يمكن أن يخدم أمريكة، ويعيدها ثانية إلى موقعها المؤثّر والفعّال الذي ضيّعه اليهود وأرباب المال.

ويوماً بعد يوم، ستجد هذه الأصوات المختنقة، بعد أن تتجمع وينضاف بعضها إلى بعض، وتشكل تياراً هادراً مؤثراً في الساحة الأمريكية، ستجد نفسها قديرة على أن تطلق صرختها المكبوتة لكي تدوّي في سماء أمريكة.. في سمع الرأي العام الأمريكي ووعيه ووجدانه.. وحينذاك قد يتغيّر الحال ويتعرى دور العلق اليهودي الذي لا تهمّه البتّة مصلحة أمريكة والأمريكيين، بقدر ما يهمّه أن يمتطي هذا الحصان الطيّع، ويسوقه إلى حيث يريد هو، لا ما يريده الأمريكيون أنفسهم.

إنهم يدسّون أنوفهم

رحم الله زمن الاستعمار القديم.. والاستعمار الجديد الذي أعقبه والذي سمّي (بالإمبريالية).. رحم الله الزمنين المذكورين ليس لأنهما لا ينطويان على السوء، فما من إنسان يملك ذرة من عقل يجهل ما فعله الاستعماران في ديارنا، والدمار الذي ألحقاه بالعمران والإنسان، فيما زاد العالم الثالث، والإسلامي على وجه الخصوص، تخلّفاً وضياعاً..

في **أوّلهما**: كان الغزو مباشراً، وكانت الدول المستعمرة ترسل جيوشها إلى البلدان التي نكبت بالتفوّق الغربي لكي تبقى هناك القرون الطوال، تعتصر خيرات الأرض، وتستنفذ قوى الجماعات المسحوقة من أجل أن يدرّ الضرع المترع بالحليب في أفواه الغربيّ الآمن السعيد المتنعّم بكل الأطايب التي تأتيه من وراء البحار.

وفي **ثانيهما**: حيث انسحبت الجيوش، وحلّت محلها النخب العسكرية المحلية أو العلمانية المدنية التي تمسك بخناق الشعوب نيابة عن الاستعمار.. كان الغربيون يخترقون الأمة وعقيدتها وفكرها وثقافتها بوسائل الغزو الثقافي التي استهدفت تزييف الهوية الإسلامية، وسحب الشعوب ـ رغباً أو رهباً ـ إلى حالة الانبهار بالتفوّق الغربي، والانسلاخ ـ بالتالي ـ عن الخصائص والمقوّمات.

لكن هذا كلّه ما كان يتمّ بشكل مباشر وإنما **(من بعيد لبعيد)** كما يقول المثل، وفي معظم الأحيان من خلال أبناء الأمة المتمغربين أنفسهم..

أما الآن، عبر الموجة الاستعمارية الثالثة، التي هندسها ريغان وبوش الأب وبوش الابن، والحلقة المحكمة التي تحيط بهم من ممثلي اللوبي اليهودي وعمالقة المال في الولايات المتحدة.. وبعد واقعة الحادي عشر من أيلول على وجه الخصوص.

الآن، فيما يمكن تسميته بالاستعمار على الطريقة الأمريكية.. فإنهم مضوا خطوات أبعد بكثير.. تمثل، إذا استدعينا مصطلحات هيغل في مثاليته المعروفة: «موحّد النقيضين»: الاستعمار المباشر وغير المباشر.. العسكري والثقافي معاً..

هاهي ذي أمريكة ترسل مستشاريها ومبعوثيها ولجانها وهيئاتها إلى ديار الإسلام، وترغم حكوماتها، بمنطق تكنولوجيا الحرب والقوّة، على استقبالهم وفتح الطريق أمامهم إلى كل المؤسسات التي يراد لها أن تتحوّل عن وظيفتها الأصيلة، وأن تغدو أداة للعقل الأمريكي ذي البطاقة اليهودية، لكي تعيد صياغة الإنسان العربي والمسلم بما يتوافق مع مطالب العولمة من جهة، والتطبيع مع العدو الصهيوني من جهة أخرى.

ها هم الآن يدسّون أنوفهم في مناهجنا الدراسية عبر مراحلها كافة، ويعيدون صياغة مفرداتها من جديد.. يبدّلون ويزيّفون ويحرّفون، فلا يبقون فيها آية أو كلمة أو عبارة أو إيماءة تدين اليهودية المنحرفة، واليهود المفسدين في الأرض، أو تومئ بكراهيتهم واحتقارهم، وتعزّز ـ بالمقابل ـ قيم الانسلاخ عن الهويّة، والإعجاب الذي يصل حدّ الانبهار بمعطيات العولمة، والنظام الجديد ذي القطبية الأحادية الذي تتزعمه أمريكة التي يراد لها أن تسترجع بريقها المفقود، بعد أن أصبح الأمريكي في منظور كل شعوب العالم المستضعفة، بشعاً، مخيفاً، إلى حدّ يثير القرف والاشمئزاز.

ومرة أخرى.. رحم الله زمن الاستعمارين القديم والجديد.. فها نحن نقبل على عصر توحّد النقيضين، حيث يتلقى عالم الإسلام واحدة من أشد الضربات قسوة في تاريخه: تكنولوجيا القوة الجهنمية في أقصى وتائرها، والمكر اليهودي في أشد صيغه خبثاً والتواءً ومكراً.




مافيتان!!

مافيتان تحكمان أمريكة، وتتحكمان بأصوات الناخبين وبالناخبين أنفسهم: كارتلات المال العملاقة، واللوبي اليهودي.

فأية ديمقراطية هذه التي تدّعيها أمريكة؟!

الشركات الكبرى توظف أموالها لشراء أصوات الناخبين وذممهم.. واللوبي يوظف المال والجنس لتحقيق الهدف نفسه، فأية ديمقراطية هذه؟ وما قيمة أن يتربّع في الكونغرس الأمريكي أكثريات ممن باعوا أنفسهم للشيطان اليهودي، وأصبح أمن «إسرائيل» ورفاهيتها أكثر أهمية عندهم بكثير من المصالح القومية العليا لأمريكة نفسها؟!

وإلا فما معنى أن تمارس هذه الأكثريات ضغوطاً متواصلة حتى ضد الرئيس نفسه من أجل إرغام كل المفاصل السياسية العليا في الولايات المتحدة لتنفيذ مطالب اللوبي اليهودي في الداخل، و«إسرائيل» والحركة الصهيونية في الخارج، بعيداً عن أي اعتبار للمصالح العليا للأمريكيين أنفسهم، وما معنى أن تعجز هذه الأكثريات عن حماية ماء وجه هذا الرئيس الأمريكي أو ذاك، عندما يتلقى إهانة ما أو مساساً بكرامته من هذه الشخصية الإسرائيلية أو تلك.. بل قد تبلغ الوقاحة بهؤلاء أن يهدّدوا الرئيس الأمريكي نفسه، والكونغرس (واقف يتفرّج) بل قد يتجاوز ذلك إلى التعاطف الكامل مع بني «إسرائيل» ضد الرئيس الأمريكي نفسه..

وما معنى أن تخرج التظاهرات الجماهيرية الحاشدة من الأمريكيين تجوب الشوارع، وتحيط بالبيت الأبيض، وترفع مطالبها الملحّة بعدم توريط أمريكة بأية حرب عدوانية قد تفترس رجالها وأموالها، فلا يعطيها البيت الأبيض سوى «أذن من طين وأخرى من عجين»؟! أما أعضاء الكونغرس فإنهم يصمّون آذانهم، وكأن نداءات الجماهير التي أوصلتهم إلى المجلس لا تعنيهم من قريب أو بعيد..

وما معنى أن تُجمع ولايات بكاملها على رفض الحرب ضد العراق من خلال عشرات ومئات الآلاف من الرسائل الموجهة إلى البيت الأبيض، فلا يردّ عليها الرئيس وممثلو الأمة سوى بالتجاهل وعدم الاكتراث؟

أية ديمقراطية هذه التي تعجز عن حماية رؤساء أمريكة أنفسهم إذا قدّر لأحدهم أن يتخذ قراراً يمليه عليه ضميره وضمير الأمة الأمريكية ومصلحتها القومية العليا، ويمارس من خلاله قدراً من العدل في مسألة الصراع العربي الإسرائيلي، قد يحمي مصالح أمريكة نفسها، وينمّيها، ليس فقط في البلدان العربية، ولكن على مدى عالم الإسلام، وربما دول العالم الثالث كله.. فإذا به يتعرّض للاغتيال على يد اللوبي اليهودي الحاكم في أمريكة.. فما يكون من أعضاء الكونغرس إلا السكوت على الجريمة، بل والتغطية عليها، وليذهب الرئيس الأمريكي نفسه إلى الجحيم؟!

أية ديمقراطية هذه والإدارة الأمريكية تناقض نفسها ومبادئها، فتسعى لإجهاض أية محاولة ديمقراطية جادة في بلدان العالم الإسلامي، تمكن الإسلاميين بقوة الأصوات المنتخبة من الوصول إلى البرلمان، والتهيؤ لحكم الشعوب وفق مبادئ الشريعة التي هي أكثر قدرة على منحها الأمن والرفاهية والسعادة، من كل القوانين الوضعية المصمّمة لبيئات هي غير بيئاتها، وظروف غير ظروفها.

يكفي أن نتذكر الجزائر في بداية التسعينيات، وتركية في النصف الثاني من القرن الماضي، لكي نعرف البعد الحقيقي للديمقراطية الأمريكية، وزيفها، وكذبها، وهي تتعامل مع الخارج.. أما في الداخل فإن الذي يحكم أمريكة، ليس الرئيس ولا الكونغرس، وإنما المافيتان العملاقتان: بيوت المال، واللوبي اليهودي.




مجزرة الثقافة

لـم تـحدث في تـاريخ الـبشرية إلا مرة واحدة.. وها هي ذي المرة الأخرى..

عندما دخل المغول البرابرة بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) أحرقوا وخرّبوا ونهبوا.. وكان «الكتاب» إحدى ضحاياهم.

قيل يومها بأنهم لم يبقوا مكتبة، وأن نهر دجلة السخيّ تلوّن بمداد الحبر الأسود الذي نزفته عقول الآباء والأجداد على مدى قرون متطاولة.

ها هو ذا يتحلّل وتضيع «الكلمة» التي هي جوهر الحضارات وسراجها المنير..

وحدّثنا ابن الغوطي ورشيد الدين الهمذاني، وغيرهما من المؤرخين عما أسموه بـ «أسبوع القتل العام» الذي ذهب ضحيته مئات الآلاف من سكان بغداد، وذهبت معها مئات الآلاف من مصنّفات العلماء والفقهاء والفلاسفة والأدباء..

لكأن هؤلاء الغزاة كانوا على موعد مع الهمجية في أقصى وتائرها، والتي لا تسمح للعقل بأن يخفق، ويبدع، ويرسم بالكلمات معالم الطريق للمدلجين في دروب الحياة الدنيا.

اليوم يجيء الأمريكيون، أحفاد رعاة البقر، لكي ينفذوا المذبحة نفسها، ليس بالضرورة بأيديهم، ولكن بأيدٍ مستعارة جيء بها من هنا وهناك لكي تنفّذ المطلوب.

وحتى أولئك السفلة من النهابين والمخرّبين، ما كان بمقدورهم أن يفعلوا ما فعلوا، لو لم يسكت الجندي الأمريكي، حامي الحرّية، والمبشّر بالعصر الديمقراطي الجديد، عن فعلتهم الشنعاء.

ولقد تحدّث شهود عيان، كيف أن أبواب المتاحف والمكتبات العامة، ودور الوثائق والمخطوطات، عندما كانت تستعصي على الدهماء، كانت الدبابات الأمريكية تتقدم لكي تكسر مزاليجها عنوة، وتفتح الطريق أمام المهاجمين.

ويقيناً فإن بمقدور زخّة من الرصاص، أو حركة من مدفع ينتصب في مقدمة الدبابات المنتشرة في كل مكان، كانتا كفيلتين بحماية هذا التراث الذي نسجته القرون الطويلة، وسهرت عليه أجيال متعاقبة من أبناء الأمة.

والهدف واضح، لا يقبل مماحكة ولا جدلاً.. إنه تدمير العمق الثقافي لهذا البلد الأصيل، وإلغاء هويته، لكي يسهل من ثم على مهندسي العصر الجديد الذي تسعى القيادة الأمريكية فيه إلى تسطيح حياة الأمم والشعوب، وتجريدها من عمقها الروحي والثقافي، وتحويلها إلى خامة طيّعة قابلة لإعادة الصياغة بما يجعلها مزرعة للمصلحة الأمريكية، ولفلسفتها البراغماتية التي يضيع في ثناياها الإنسان، ويغيب البعد الديني، وتنهار منظومة القيم الخلقية، وتفقد الحياة البشرية مغزاها العميق، لكي تصبح لهاثاً محموماً وراء الحاجات الأساسية، وتكاثراً بالأموال والأشياء.

إنها ثقافة النظام العالمي الجديد، الذي لا يسمح بوجود ثقافة أخرى إلى جواره.. ثقافة أكثر عمقاً وامتداداً وغناءً وانسجاماً مع إنسانية الإنسان.. لأن مجرد المقارنة في حالة كهذه سيكشف منذ اللحظة الأولى عوار الثقافة الجديدة.. الثقافة المتضحّلة التي يراد لها بقوة آلة الحرب أن تسود العالم، وتتفرّد بالمصائر والمقدرات.

وعبر أيام قلائل، من الاجتياح الأمريكي للمدن العراقية، تعرّضت أربع مؤسسات كبرى للنهب: المتاحف والمكتبات ودور الوثائق وخزائن المخطوطات.

ولو أن الأمر توقّف عند حدود النهب، لكان يمكن تبريره بحاجة السفلة والدهماء إلى الدولار ورغيف الخبز، يستبدلونه بأثر أو كتاب أو وثيقة أو مخطوط، داخل العراق أو خارجه، تماماً كما كانت المصنّفات البغدادية تباع أكداساً بعيد الغزو المغولي لتجار الكتب القادمين من خارج بغداد، مقابل حفنات من القمح وأرغفة من خبز الشعير.

ولكن الذي حدث، بعد دخول أمريكة المحرّرة، أن الأمر لم يقف عند حدود السرقة والنهب، ولكنه الحريق الذي يعقب كل اجتياح لهذه المراكز الحضارية.. الحريق الذي كان يترك كل ما تبقى رماداً، عبر واحدة من أبشع المجازر الثقافية في التاريخ..

وهنيئاً لحراس العهد الجديد على أن تمكنوا من تحقيق المطلوب!




الرئيس والقسّيس!!

الحديث عن تديّن بوش الابن لا يملّ.. ليس فقط لأنه يقدم نموذجاً لرجل يتحول فجأة وبزاوية قدرها مئة وثمانون درجة من (الحانة) إلى (الكنيسة)، ومن رجل المغامرات التجارية الفاشلة إلى (كاهن)، فيما يذكرنا بتحوّل (بولص) اليهودي الذي كان يعذّب أتباع السيد المسيح (عليه السلام) في دمشق، ثم فجأة، وفي أعقاب ما ادّعاه رؤيا رآها في المنام، تحوّل إلى المسيحية وأصبح (قدّيساً).. ليس هذا فحسب، بل أصبح بإنجيله (المحرّف) الذي أتى على (مسيحية) عيسى (عليه السلام) من القواعد، والذي أصبح فيما بعد الإنجيل المقدس الأم لدى المسيحيين في العالم.. وهذه مفارقة أخرى أشد هولاً (ولنتذكر ما كتبه الأديب والباحث الإنكليزي المعاصر كولن ولسون في كتابه المعروف (سقوط الحضارة) حول الموضوع).

ليس فقط للسبب المذكور.. وإنما لكون تديّن بوش ينطوي بالضرورة على بعد سياسي خطير لعب ولا يزال دوراً مؤثراً في خطابه السياسي، وممارساته الواقعية.. سواء فيما يتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، أو حرب أفغانستان، أو اكتساح العراق، أو غيرها مما شهدته وستشهده ولايتا بوش الأولى والثانية.. وذلك ـ باختصار شديد ـ لأن تديّنه هذا جاء وفق سياق المسيحية الإنجيلية المخترقة صهيونياً والقائلة بضرورة قيام وديمومة الدولة العبرية بانتظار مجيء السيد المسيح الذي يأبى أن يرجع إلّا والدولة العبرية قائمة!!

في تقرير بثّته إحدى القنوات الفضائية بعنوان (بوش والتديّن) تحدثت فيه عن نشأته وانغماسه بالشهوات والملذات في مقتبل عمره، وكيف أنه خسر شركته، ثم أوشك على خسارة زوجته وعائلته بسبب إدمانه على الخمر.. وفجأة وبعد لقائه بالقس (بيلي غراهام) قرر أن يقلع عن شرب الخمر ليستعيد حياته وعائلته. ومنذ ذلك اليوم أصبح (بيلي غراهام) مرشده الروحي الذي يأخذ بيده إلى طريق الإيمان والإنجيلية الجديدة، بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي يتبعها والده.

والمعروف أن القس (بيلي غراهام) راعي الكنيسة الإنجيلية الجديدة المسماة (بالمنهجية) من أكثر رعاة الكنائس الأمريكية عداوة للإسلام والمسلمين، وأنه أنشأ جيلاً من المفكرين والقادة العسكريين وأصحاب القرار في الإدارة الأمريكية يتبعون هذا النهج ومن أبرزهم بوش الابن نفسه.

ويتحدث التقرير المذكور كيف أن بوش في بداية تأهيله للوصول إلى البيت الأبيض اشترك مع مجموعة مؤلفة من ١٥٠ شخصاً من مختلف الشخصيات البارزة في المجتمع الأمريكي، وبرعاية القس (بيلي غراهام)، بدراسة الإنجيل دراسة منهجية متعمقة ليكون دليلاً ومرشداً. وتمّ التأكيد في هذه الدورة على أن معنى الإنجيل هو (البشارة) التي يجب أن تصل إلى جميع الناس، ويجب إزاحة من يقف في طريق هذا الهدف بالقوة إذا لزم الأمر.

ومن ثم لا ندهش إذا رأينا بوش يرفع الإنجيل أمام جمع من الناس ليقول لهم: (هذا هو دليلكم).. أو يقرّب إليه القس (جون اشكروفت) ويجعله وزيراً للعدل لأنه حوّل الكنيسة إلى مؤسسة للخدمة الاجتماعية، بل إنه رفع إلى الكونغرس قانوناً لتأسيس مراكز خدمة اجتماعية باسم الكنيسة وبإسناد من الأموال الفيدرالية، ولما فشل في الحصول على الموافقة على

القانون، أصدر به أمراً تنفيذياً رئاسياً، في نفس الوقت الذي يحارب ويلاحق الجمعيات الخيرية الإسلامية التي تعين فقراء وأيتام وجياع المسلمين حتى في عقر دارهم.




القفزة المستحيلة

في الرابع والعشرين من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٣ م قامت السيدة إيلينا رومانسكي، مسؤولة برنامج مبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية، بزيارة لدول الخليج العربي، وقالت في تصريحات كثيرة، من بينها: «لا توجد فسحة من الآن فصاعداً للكراهية وعدم التسامح والتحريض، ونحن نحاول أن نعيش معاً، وأي منهاج دراسي لا يسير في هذا الاتجاه يجب تغييره»، وأضافت: «إنه إذا كانت الحكومات والمجتمعات تريد رؤية مثل هذا التغيير، وتودّ الحصول على نظام تعليمي يوفر المهارات وفرص العمل والمنافسة، فإننا سنمد يدنا للمساعدة. وأؤكد لكم، نعم، نود إزالة كل المواد السلبية من النصوص الدينية».

ولا يعرف المرء من أي باب يدخل للتعليق على هذا النبأ؟! فهي كثيرة ومن المستحيل ـ في مقال موجز كهذا ـ اجتيازها جميعاً للوصول إلى المطلوب!

وعلى سبيل المثال: هل استأصلت أمريكة وصنيعتها إسرائيل أسباب الكراهية وعدم التسامح من حياتنا الراهنة وقواميسنا المعاصرة لكي نجعل مناهجنا تنبض بالمحبة والتسامح والسلام؟

الشعوب والدول الإسلامية تكتسح ويحصد أبناؤها بآلة الحرب الأمريكية الرهيبة، وبعشرات الآلاف من أطنان القنابل العنقودية، والذرية التكتيكية، والمخصّبة اليورانيوم، والمفرغة الهواء..

وفي الساحة الفلسطينية تهدم الجرافات الإسرائيلية عشرات المنازل،

وتحصد نيران المدافع الثقيلة والمروحيات والدبابات عشرات الفلسطينيين، لا فرق على الإطلاق بين مقاتل ومسالم.

أي تسامح هذا وأية محبة، حتى فيما وراء عالم الإسلام، حيث تتلقى مدينتا هيروشيما وناغازاكي اليابانيتان قنبلتين ذريتين أمريكيتين تأتيان عليهما وعلى من فيهما من القواعد؟

الحديث يطول.. يطول.. والشواهد على أولئك الذين يزرعون الكراهية والبغضاء في نفوس المستضعفين في الأرض أكثر بكثير من أن يحصيها عدّ.. وأية محاولة لصياغة مناهج تدعو إلى محبة القتيل للقاتل، وانتزاع أسباب الحقد والبغضاء من وجدانه، بمثابة قفزة مستحيلة، وغير مبرّرة، على بداهات النفس البشرية والتاريخ البشري..

في تاريخنا الإسلامي وحده كانت المحبة والتسامح والتوافق والانسجام بين المسلم والمسيحي واليهودي والصابئي والمجوسي والمنتمين إلى سائر الأديان والمذاهب الأخرى.. ووجد الجميع فرصهم المفتوحة في العدل والحرية والتعبير عن الذات والصعود إلى أعلى..

والشواهد ها هنا أيضاً كثيرة.. كثيرة جداً.. ويكفي أن يرجع المرء إلى شاهد واحد فحسب (من أهلها) وهو المستشرق البريطاني السير توماس أرنولد في كتابه المعروف (الدعوة إلى الإسلام) لكي يتأكد له ذلك.. ويتأكد له ـ كذلك ـ أن المحبة والتسامح لا يمكن أن تفرض بالقوّة على الأمم والشعوب.. وبخاصة إذا أريد لها أن تكون بين القاتل والقتيل.. وإنما هي وليدة شبكة من العلاقات المتكافئة ومنظومة من القيم الإنسانية المتجذرة في الدين فيما لم تشهد له البشرية مثيلاً إلّا في ظلال الإسلام..

القلعة المعزولة

في الفترة التي سبقت الانتخابات الأمريكية الأخيرة أدلى زيغنيو بريجنسكي «المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي» بحديث ينطوي على أهمية بالغة لأنه يعكس رؤية مستقبلية للوجود الأمريكي فيما يسمى بالشرق الأوسط الكبير، ولذا لزم الوقوف عنده قليلاً..

قال: إنه يتوقع تغييراً في السياسات الأمريكية الخارجية إذا ما أعيد انتخاب بوش. وهذا هو المرجح، لأن الحزب الديمقراطي لم يقدّم مشروعاً بديلاً ومتكاملاً يمكن أن ينقذ الولايات المتحدة من سلسلة الأخطار التي وقعت فيها الإدارة. معتبراً أن خطأ بوش الحقيقي هو في محاولة تفرّده، واصفاً بعض أركان الإدارة بالعمى الأيديولوجي والاستراتيجي على السواء.

واستعاد بريجنسكي بعضاً مما ورد في كتابه الأخير (الخيار الحقيقي) ليقول: إن على القادة في الولايات المتحدة أن يكونوا على وعي تام بعدم التشبه بالإمبراطورية الرومانية التي كانت تستخدم فيها مصطلحات قريبة جداً من مصطلحات تصدر عن مسؤولين في واشنطن مثل: (الدول المارقة) و(محور الشر) و(الجماعات الإرهابية)... إلخ. ملاحظاً أن الغطرسة التي كانت تمارسها روما أدت بالإمبراطورية إلى الانهيار. وعلى هذا الأساس فهو يدعو إلى أن تكون أمريكة مدينة على جبل (كما ورد في العظة الأخيرة للسيد المسيح)، مدينة مشعة وفي سلام مع العالم، لا قلعة على جبل، معزولة وكئيبة، وتستقبل جثث القتلى.

وحذر بريجنسكي من أنه إذا لم يحدث تغيير في سياسة الإدارة فإن أمريكة ستنهار في ذلك المصطلح الذي لم يأخذ بالاعتبار الكثير من الحقائق الجغرافية والتاريخية والإنسانية، وهو (الشرق الأوسط الكبير)، مشيراً إلى أن الروس يبدون شديدي الانزعاج مما يحدث عبر أوربة الوسطى (الشرقية) وآسية الوسطى (الشرقية)، وهم قادرون على إلحاق الأذى بالاستراتيجية الأمريكية في تلك المناطق، لا سيما المناطق الآسيوية شديدة التعقيد، سواء تعاونوا مع الصينيين الغاضبين بدورهم أم لا. ولم يستبعد أن يدعم الروس ما أسماه بالإسلام المتشدد في بعض الجمهوريات على الرغم من أن ذلك قد يؤثر على وضع الشيشان.

ويرى بريجنسكي، الذي يعد أبرز الباحثين المستقبليين في الولايات المتحدة، أن الخطأ القاتل الذي ارتكبه الرئيس جورج بوش هو أنه أدار ظهره للحلفاء الأوربيين، لا بل إنه «وبنصيحة رديئة من مستشاريه، طبق خطة على جانب كبير من البلاهة، لتجزئة القارة (أوربة القديمة وأوربة الجديدة) ظناً منه أنه بهذه الطريقة يستطيع أن يحمل الأوربيين على السير في ركابه، رغم أن التحالف القائم في العراق يفترض أن يشكل أمثولة للذين لا يفقهون ما هي أهمية أوربة الموحدة بالنسبة لحماية مستقبل أمريكة.

ويرى بريجنسكي أن الصين تستطيع في العقود المعدودة المقبلة أن تبتلع أمريكة إذا لم يتم إحداث تعديلات أساسية في الرؤية الاستراتيجية بحيث يعاد تفعيل التحالف مع أوربة، مستغرباً الرفض الأمريكي لانضمام دولة عملاقة مثل ألمانية إلى الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي.

وقال بريجنسكي: إن البعض يحاولون المزج بين عملية صوغ السياسات وبين مفاهيم ميتافيزيقية مثيرة للجدل. فإذا كان هناك من يعتبر أن النصوص المقدسة تشكل أساساً في الرؤية السياسية، فلابد من أن نستغرب كيف يكرّس هؤلاء الانغلاق وبناء علاقات ملتبسة بل وعدوانية مع العالم.

ومع أن بريجنسكي يظهر الكثير من الجدية، كلما بدرت عنه إشارة ساخرة، لكنه لم يتردد، لدى الحديث عن تسويق الديمقراطية كسلعة جاهزة للاستهلاك، عن التساؤل فيما إذا كانت المركبات الفضائية التي سترسل إلى المريخ ستحمل معها منشورات تدعو إلى الديمقراطية فوق الكوكب الأحمر. لكنه يؤكد أن باستطاعة الولايات المتحدة أن تساعد على نشر الديمقراطية بطريقة تأخذ بالاعتبار أن مهمتنا إنسانية وحضارية بالدرجة الأولى (!!) لا بمنطق قاذفات القنابل.

ولم يتوقع بريجنسكي أية خطوة نحو السلام في الشرق الأوسط في غضون الأشهر المقبلة، لكنه لم يستبعد تجميداً للوضع، لأن الإبقاء على ما أسماه بوتيرة العنف سيخلف آثاراً كارثية، مؤكداً على ضرورة أن يضغط بوش على شارون للحدّ من الإفراط في العنف. وهنا استدرك بريجنسكي قائلاً: إنه من الصعب أن يصغي الرئيس إلى نصائح من هذا القبيل، لأن للمعركة الانتخابية معاييرها التي لا تدخل في منطق التحليل الأكاديمي للموقف السياسي!!

الهوّة

هنالك هوّة كبيرة في الساحة الأمريكية بين نخبة من العلماء والمثقفين والمبدعين وقادة الفكر والرأي.. كثيرون منهم من أصول غير أمريكية، هم الذين يمكنون أمريكة من مواصلة التقدم وفرض وصايتها وهيمنتها على مقدرات الأمم والشعوب..

والشواهد كثيرة تدلّ على هذه الأصول حتى من نحت الأسماء نفسها: صموئيل هنتنكتن صاحب نظرية (صراع الحضارات) من أصل روسي.. فرنسيس فوكوياما صاحب نظرية (نهاية التاريخ) من أصل ياباني.. زيغنيو بريجنسكي المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي.. من أصول أوربية شرقية.. كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في عهد نيكسون والمنظر السياسي المعروف.. من أصل جرماني.. وغير هؤلاء عشرات ومئات وألوف لا يتسع المجال لاستعراض أسمائهم ومواقعهم وأصولهم.. ويكفي أن نتذكر أننا عندما نجلس أمام شاشات التلفاز لمشاهدة تجربة ما من تجارب إطلاق قمر صناعي أو مركبة إلى الفضاء، فإننا سنجد صفاً من العلماء والخبراء والفنيين يجتمعون في مركز السيطرة لمتابعة التجربة.. فيهم العربي والباكستاني والهندي والغاني... إلخ.

بين هؤلاء وبين شرائح واسعة من الشعب الأمريكي، هوّة واسعة لا يمكن تقريبها أو حتى تصوّرها.. هذه الشرائح التي لا يملك أصحابها حداً أدنى من الوعي السياسي، بل حتى الثقافي، بالمقارنة مع أبناء الشعوب الأخرى الأوربية والإسلامية والهندية والشرق أقصوية... إلخ.

تصوّروا أن الكثير من الأمريكيين ما كانوا يعرفون أين تقع إيران والعراق اللتان استمرت الحرب تأكل فيهما أكثر من ثماني سنوات.. ولا أين تقع البوسنة والهرسك اللتان استمر الذبح الصربي الصليبي فيهما أكثر من ثلاث سنوات.. ولا أين تقع أفغانستان التي ذبحتها أمريكة ومن قبلها روسية من الوريد إلى الوريد.. وثمة العديد من الدول الآسيوية والإفريقية يتصوّرونها تقع في أوربة.. والعديد من الدول الأوربية يتصورونها تقع في آسية وإفريقية..

والشواهد ها هنا أيضاً كثيرة.. وكثيرة جداً.. يعرفها المتابعون للمسابقات الثقافية.. وغير المسابقات الثقافية في الساحة الأمريكية..

من ثم لا يبقى مجال للدهشة أو التساؤل حول كيف تبيح أمة لنفسها إعادة انتخاب من ساقها إلى حرب غير مبرّرة.. وكذب عليها.. وعزلها عن حلفائها التقليديين في أوربة.. هذه الأمة التي كانت ولا تزال تعلن احتجاجها على تصرّفات (بوش) ورفضها لسياساته؟

وكيف تبيح أمة لنفسها أن تتهافت على انتخاب رجلين كلاهما خضع لمطالب اللوبي اليهودي التي تتناقض ـ ابتداء ـ مع المصالح القومية الأمريكية العليا..

وكيف تبيح أمة لنفسها أن تهرع لانتخاب رجلين أحدهما كان «فاشلاً» بكل المعايير، كما يجمع متابعو سيرة الرجل والباحثون في سجلّه الشخصي.. والآخر لا يملك تلك القدرات الاستثنائية التي يتحتم أن يمتلكها أولئك الذين سيقدّر لهم أن يقودوا أقوى أمة في العالم وأكثرها تقدماً.

بل الذي كانت إحدى وسائل حملته الانتخابية أن يعلن عن اعتزامه إباحة الزواج المثلي (اللواط والسحاق) قانونياً إذا قدّر له أن يصل إلى البيت الأبيض!!




تصدير الفجور

أوردت وكالة شينخوا الصينية خبراً مفاده أن الصين ستوقع عقوبات مشددة صادرة عن المحكمة الصينية العليا، قد تصل إلى حد الحبس مدى الحياة، على المسؤولين عن المواد والصور والأفلام الفاضحة على شبكة الإنترنيت والهواتف النقالة.

وثمة مشروع مقترح من قبل الاتحاد الأوربي لإيجاد تلفزيون موحد لكل دول الاتحاد وفق مواصفات خاصة، ومبرمج لحذف المواقف المخلّة بالآداب، فضلاً عن تلك التي تتعارض وثقافتهم ومصالحهم، كما أن المشروع سيصمّم لمنع استقبال أي بث خارج الاتحاد..

وربما يتذكر معي بعض القراء كيف حكم على أحد الأدباء في الولايات المتحدة (وقد يكون أرسكين كالدويل) بالسجن لعدة أشهر أو سنوات بسبب نشره رواية فاضحة!!

أما أن يُصدّر نتاجهم العاهر إلينا.. فلا بأس.. بل على العكس، فثمة قصدية مسبقة بكل تأكيد لنشر العهر والانحلال في مجتمعاتنا الشرقية عموماً والإسلامية على وجه الخصوص، لتدمير منظومة قيمها الخلقية والدينية، واختراق شبكة دفاعها الإيماني القائم على الطهر والنظافة السلوكية، وتحويلها إلى سوائم تقاد من قرونها، وبسهولة بالغة، إلى المذبح، بقوة اللذة وإغرائها، كما تقاد الأغنام والعجماوات..

ومن قبل كانت إحدى بروتوكولات حكماء صهيون قد أكدت على هذا الأسلوب في التعامل مع الآخر، واعتماده بوتائر متصاعدة، من أجل تدمير البنية الدينية والخلقية للأمميين، والتمكن بالتالي من التحكم بمصائرهم ومقدّراتهم..

وقد يكون تصدير الغربيين سرطانهم الانحلالي إلى مجتمعاتنا أمراً مبرراً وفق بداهات الفلسفة الذرائعية التي يدينون بها.. كما أن من المنطقي تماماً أن يعتمد حكماء صهيون الذين يتلقون برامج عملهم من التلمود، أي أسلوب أخلاقي أم غير أخلاقي لتدمير خصومهم..

لكن غير المبرر والمعقول على الإطلاق.. أن نسمح نحن المسلمين لأنفسنا بتقبل السرطان الغربي، وتمرير اللعبة الصهيونية الماكرة.. فلا نكتفي فقط باستيراد الوباء من هنا وهناك، وقبوله، والترويج له، وإنما أن نمارس فوق هذا كله، دور المنتج الحريص على المشاركة في صناعة هذا الوباء الذي سيأتي على الأخضر واليابس، ويفترس بقايا القيم الخلقية والدينية لدى الشرائح ذات التكوين الخلقي أو الديني الهشّ الذي يحمل الاستعداد لقبول السرطان!

ولحسن الحظ فإن الفعل الخاطئ يولّد في أحيان كثيرة أفعالاً مضادة تساويه في القوة وتخالفه في الاتجاه..

فها نحن نجد، عبر أجيال الصحوة الإسلامية الملتزمة بمنظومة القيم، والمتوضئة بالطهر والفضيلة، حالة تثير الدهشة في اندياحها المتزايد وكسبها حشود الشباب الذين يعكسون بسلوكهم النبيل وطهارتهم الخلقية، ووضاءتهم الروحية، الحالة الإنسانية التي أريد لبني آدم أن يتحققوا بها قبالة أو ضد كل المحاولات المحمومة التي تسعى لتدمير إنسانية الإنسان والنزول به إلى أسفل، وتدجينه، واعتقاله في نهاية الأمر في حظائر البهائم والعجماوات..

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾..




حكاية عَلَم!!

حكاية العَلَم العراقي الجديد الذي صمّم زمن ما يسمى بمجلس الحكم. . كانت أشبه ببالون اختبار للشعب العراقي. . عكست، على مستوى الشارع، جملة من الدلالات، فكانت، كما يقول المثل المعروف: (رب ضارة نافعة).

لقد أريد للعلم الجديد، وبقصدية واضحة، ألّا ينطوي على أية مفردة من مفردات العلم السابق، على مستوى التصميم أو اللون، وأن يمضي في الاتجاه النقيض الآخر فيعتمد اللون الأزرق الذي يقرّبه كثيراً من علم إسرائيل ذي الخطين الأزرقين، ويلغي عبارة (الله أكبر) بكل ما تمثله من عمق ديني وانتماء حضاري متجذر في تاريخ هذه الأمة.

والعلم العراقي الأصيل الذي أريد استبداله بهذا المسخ الذي لا أب له، ليس علم صدام حسين، ولا علم حزب البعث العربي الاشتراكي، ولكنه علم الشعب العراقي والدولة العراقية ذات العمق الزمني الممتد إلى بداية عشرينيات القرن الماضي حيث قيام الدولة العراقية في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

بل إنه يمتد إلى عمق زمني أبعد كثيراً، فيرمز بألوانه وتقسيماته، ليس فقط إلى جغرافية العراق وخصوصياته، وإنما إلى موروثه التاريخي الأصيل القادم من عصور الأمويين والعباسيين. . هذا إلى أنه ينطوي على بصمات مشتركة بين جميع دول المشرق العربي، فضلاً عن مصر والسودان.

يجيء مجلس الحكم، وتحت ظلال الاحتلال وإيحاءاته وسلطته القاهرة، لكي يلغي هذا كله ويستبدله بعلم تشم منه رائحة التذلل لأمريكة والغزل مع إسرائيل!!

ثارت ثائرة الشعب العراقي في كل مكان.. وخرجت التظاهرات الحاشدة ترفع أصواتها المدوية برفض هذا العلم الهجين والتشبث بالراية العراقية الأصيلة.. وراح العراقيون طلبة وعمالاً وتجاراً وموظفين وأساتذة ومدرسين، يتسابقون في رفع العلم الأصيل وبمساحات لم تخطر على بال، لكي يغطي بتقسيماته وألوانه المتميزة، واجهات العمارات الكبيرة هنا وهناك.. وأقام الطلبة الجامعيون احتفاليات حاشدة رفع خلالها العلم الأصيل لكي ترتفع معه رؤوسهم التي لم تعتد الانحناء لكائن من كان من قوى الغشم والتزوير والطاغوت.

بل إن أفراد الشرطة أنفسهم راحوا يتنافسون في إحاطة سياراتهم التي يتنقلون بها، بالعلم الأصيل، معربين عن تضامنهم مع الشعب، وحرصهم على التشبث بواحد من أكثر الرموز العراقية أصالة وقدسية.

لقد أريد بالعلم الجديد تنفيذ واحدة من أبشع عمليات التزوير في التاريخ العراقي المعاصر.. ولكن الشعب العراقي كان للمحاولة بالمرصاد..

ونبحث الآن عن العلم الجديد في هذه المدينة أو القرية، أو الدائرة الحكومية أو تلك.. في هذا الشارع أو ذاك.. على هذه السارية أو تلك.. فلا نجد له أثراً..

لقد عاد العلم الأصيل لكي يرتفع عالياً في سماء العراق، تخفق على مساحته الوسطية البيضاء عبارة (الله أكبر)..

وإنه لدرس يمكن أن تتلقى منه الشعوب المستضعفة الكثير من القيم والتعاليم..




حول علمنة التعليم في العالم العربي

في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٣ م نشرت (الشرق الأوسط) خبراً مفاده أن إدارة بوش قررت تخصيص مبلغ ١٤٥ مليون دولار لميزانية عام ٢٠٠٤ م لتشجيع التعليم العلماني في العالم العربي..

ولنفترض وضع صفر آخر أمام هذا المبلغ لكي يغدو قريباً من المليار ونصف المليار من الدولارات.. فهل ستنجح المحاولة؟

إن الذين يعتقدون أن بإمكان المناهج الجديدة المعلمنة تحقيق المطلوب واهمون، أو أنهم لا يملكون القدرة على معاينة الظاهرة التعليمية من أطرافها كافة ومكوّناتها جميعاً..

فالمفردات المنهجية مهما صيغت بأقصى درجات الحذق والعناية، لا يمكن أن تفعل فعلها وتصنع بلمسات سحرية، أو بمجرد اجتياز المراحل الدراسية، جيلاً من الناس يبحر باتجاه مضاد للعقيدة والشريعة والتاريخ والعادات والتقاليد والممارسات الفكرية والروحية والوجدانية والسلوكية.. لا يمكن أبداً..

بل على العكس قد تشكل هذه المحاولة الهجينة، المفروضة من الخارج، وممن؟ من طرف لا يكنّ له الطلبة والتلاميذ على مدى جغرافية عالم الإسلام من أقصاها إلى أقصاها أي قدر من المحبة والتوافق والاحترام.. تشكل ردّ فعل يتحرك بالاتجاه المعاكس تماماً، فيزداد بقوة الردّ على التحدي، تشبثاً بعقيدته ودينه وتقاليده التي يلتقي فيها بوئام وانسجام كامل الديني بالدنيوي، والله سبحانه بالإنسان، والإيمان بالعلم، والآخرة بالدنيا، والروح بالجسد،

والعبادة بالسياسة.. وتغدو العلمنة ليس ـ فقط ـ خروجاً على مطالب العقيدة والشريعة، وإبحاراً ضد الثوابت الأساسية للدين الإسلامي نفسه، وإنما ـ أيضاً ـ تعارضاً ممقوتاً مع شبكة الخبرات والممارسات والقناعات التي تمركزت في عقل المسلم وقلبه وروحه ووجدانه منذ مئات السنين!!

ثم إن المنهج ليس هو كل شيء في الممارسة التربوية والتعليمية.. فهناك، فضلاً عن الطالب المتلقّي نفسه: المدرّس، والعائلة، والتأثيرات البيئية في مستوياتها التربوية والثقافية والاجتماعية.. ولا يمكن بأي حال من الأحوال، إلغاء هذا كلّه، بمجرد إعادة صياغة المناهج وعلمنة مفرداتها..

ولن يتسع المجال للاستفاضة في الحديث عن هذه المؤثرات جميعاً ويمكن أن نكتفي بالتأشير على ما يمكن للمدرّس أو المعلم أو الأستاذ نفسه أن يفعله..

إن بمقدوره أن يضع المفردات الهجينة في جيبه وهو يدخل الصفّ، أو يبلّها ويشرب ماءها أمام الطلبة أنفسهم.. وأن يتحول وبزاوية قدرها مئة وثمانون درجة في الاتجاه المعاكس لكي يؤكد في عقول الطلبة ونفوسهم قيم الإيمان الإسلامي التي ترفض العلمنة وتعتبرها في معظم الحالات، التي تعني سحب يد التشريع الإلٰهي عن إعادة صياغة الحياة، كفراً بواحاً..

وقد يعتبر معظم المدرسين والمعلمين والأساتذة، ممارسة كهذه جهاداً ملزماً وواجباً تفرضه مطالب الدين نفسه..

وقد لا يشذ عن هذا إلّا قلّة من المعلمين والمدرسين والأساتذة لا تكاد ترى على الخارطة.. وهي على أية حال لا تعدو أن تكون استثناءً للقاعدة..

والاستثناء، كما هو معروف، يؤكد القاعدة ولا ينفيها!!



شيء عن المبادئ الأمريكية!

صرح رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي، تعقيباً على الانتهاكات القانونية لما يسمى بحقوق الإنسان في سجن (أبو غريب) والتي نشرتها وتناقلتها وكالات الأنباء كافة: «أن ما حدث في العراق لا يتفق ومبادئ أمريكة، وهي ليست سلوكاً أمريكياً».

أين هو السلوك الأمريكي والمبادئ الأمريكية يا رامسفيلد، أفي معتقلات وأقفاص غوانتانامو؟ أم في القنابل المفرغة للأوكسجين في جبال أفغانستان؟ أم في أطنان اليورانيوم المخضب في العراق، حيث يكتسح السرطان المئات من العراقيين كل يوم؟ أم في إمداد إسرائيل بالأسلحة الأكثر فتكاً لذبح الشعب الفلسطيني الأعزل؟ أم ـ قبل هذا وذاك ـ في ضرب هيروشيما وناغازاكي بقنبلتين ذرّيتين حسماً للمجابهة العسكرية الطويلة مع اليابان؟

أين هو السلوك الأمريكي والمبادئ الأمريكية يا رامسفيلد.. ومهزلة الانتخابات الأمريكية، تدفع المتنافسين الديمقراطي والجمهوري: كيري وبوش، إلى حمى المزايدات الرخيصة، ليس فقط على حساب فلسطين والشعوب المستضعفة في العالم كله، وإنما على حساب الشعب الأمريكي نفسه، استرضاءً للوبي اليهودي، من أجل ضمان الوصول إلى البيت الأبيض؟

أين هو السلوك الأمريكي وكيري يتحدى الرأي العام العالمي، وقرار محكمة العدل الدولية، بخصوص عدم شرعية الجدار الإسرائيلي العازل، ويعلن بأن من حق إسرائيل أن تقيمه وأن تمضي فيه حتى النهاية؟

أين المبادئ الأمريكية وكيري يزايد على بوش (المحافظ)!! بإعلان إقراره بشرعية الزواج النمطي للرجل بالرجل والمرأة بالمرأة.. أي اللواطة والسحاق، من أجل أن يكسب أصوات سفلة الأمريكيين من الشواذ والخارجين على القيم والأديان؟

أي سلوك هذا وأية مبادئ، اللهم إلا إذا كان السلوك الأمريكي يعني تحكيم شريعة الغاب في التعامل بين القوي والضعيف، وإلّا إذا كانت المبادئ الأمريكية ترى في اللواط والسحاق حقاً مشروعاً لبني الإنسان؟

إن تعذيب السجناء والموقوفين، سواءً في (أبو غريب) أو في (غوانتانامو) أو (أفغانستان)، هو ـ إذا توخينا الصواب ـ الوجه الحقيقي (للأمريكي البشع) الذي حوّلته حرب فيتنام إلى وحش كاسر، ومنحته فلسفة (هوبز) شرعية استخدام أعلى وتائر القوة لفرض هيمنة الدول الكبرى واحترامها في العالم، والمبرّر لكل الأساليب اللاإنسانية من أجل تحقيق الهدف المطلوب.

ها هم رعاة البقر القادمون من الجنوب الأمريكي يلوّحون بحبالهم وبنادقهم للشعوب المستضعفة في العالم، من أجل أن يمسكوا بها من رقابها، وإلّا فهو التعذيب، والذبح الذي أتى على أمة من الناس في أمريكة نفسها كانت تدعى يوماً: (الهنود الحمر).




ليس بوش وحده..

ليس بوش وحده، وإنما معظم رؤساء الولايات المتحدة منذ قيام إسرائيل وحتى اللحظات الراهنة.. اجتازوا الممر الملتوي نفسه وهم يتعاملون مع القضية الفلسطينية، ويكيلون معها بمكيالين أحدهما للعرب والآخر لليهود.

وكالقلب المريض الذي يعكس جهاز التخطيط نبضه المضطرب الذي يرتفع فجأة، وينخفض فجأة، ولا يستقر على حال.. هي سياسات الرئاسات الأمريكية إزاء فلسطين.. وقد بلغت هذه الحالة المرضية أقصى درجات تكشّفها ووضوحها في ولاية بوش الابن.

فهو قد أعلن في حملته الانتخابية (الأولى) أنه يحترم ثوابت حزبه الجمهوري في ضرورة أن تكون هناك دولتان في الأراضي الفلسطينية، إحداهما لإسرائيل والأخرى للفلسطينيين.. وأنه سيلتزم ببذل أقصى وتائر الجهد لتحقيق هذا الهدف الذي يمثل في نظر الجمهوريين السبيل الوحيد لحل القضية الفلسطينية.

ثم ما لبثت خارطة الطريق أن طرحت على الساحة لكي تعكس هذه الرؤية، وتحدد الكثير من مفرداتها، والسياسات التي تكفل تحقيقها.

وبغض النظر عن واقعة الحادي عشر من أيلول التي لا علاقة للفلسطينيين بها على الإطلاق.. وسواء حدثت تلك الواقعة أم لم تحدث أساساً.. بدأت لعبة التأرجح على الحبل في سياسات بوش، حيث راحت

المواقف تتغير، وخارطة الطريق تتآكل، وتضييق الخناق على المطالب الفلسطينية يزداد شراسة، وحقوق الفلسطينيين تنتقص وتهضم، وأحلام إسرائيل التوسعية تلقى الترحيب والقبول.

وعادت مأساة التلاعب بدلالات التعابير والكلمات لكي تشارك في افتراس الحقوق الفلسطينية.. فصرنا نسمع من بوش ورجالات الإدارة الأمريكية ـ على سبيل المثال ـ عبارة «تفكيك مستوطنات إسرائيلية» وليس «المستوطنات»، فيما يذكرنا بالزمن الأسود الذي أعقب حرب حزيران (١٩٦٧م) وقرار الأمم المتحدة بضرورة انسحاب إسرائيل من «أراضٍ محتلة» وليس من «الأراضي المحتلة» في تلك الحرب.. والتاريخ يعيد نفسه.

ويوماً بعد يوم أخذت ثوابت الحزب الجمهوري بخصوص قيام دولة فلسطين إلى جوار الدولة العبرية، تبهت وتغيب، ويحتال عليها، وتميّع، ويضيّق عليها الخناق، وتتحول بقدرة قادر إلى الطرف النقيض الآخر تماماً، حيث يهال التراب على الحق الفلسطيني المشروع في إقامة دولتهم، بينما في الجهة الأخرى تمدّ إسرائيل بالمزيد من عناصر القوة والدعم الأمريكي على شتى المستويات السياسية والعسكرية والإعلامية والاقتصادية.

والذي يتابع خطاب بوش السياسي إزاء القضية الفلسطينية يلحظ بوضوح هذا التنازل الفاضح عن المبادئ، أو بعبارة أخرى، (الادّعاءات) التي بدأ بها رحلته الأولى إلى البيت الأبيض، والتي تمكن بواسطتها أن يخدع الجماعات العربية والإسلامية في أمريكة لكي يحصل على أصواتها التي كانت الفيصل في فوزه المهزوز والمشكوك فيه على خصمه الديمقراطي إل غور.

وبمرور الوقت راح بوش وحزبه الجمهوري يرميان بثقلهما إلى جانب إسرائيل في واحدة من أكثر المواقف التاريخية لا أخلاقية وانحيازاً، حتى إن الأمر يصل ببوش، ومن أجل ضمان أصوات اللوبي اليهودي للجولة

الرئاسية الثانية، أن يعطي إسرائيل وعداً بتسليمها وجبة من الطائرات ذات التقنيات العالية القديرة على ضرب المفاعلات الذرية الإيرانية حماية لما يسمى بالأمن القومي الإسرائيلي.

وإلى جانب الرغبة في ضمان البقاء في البيت الأبيض، هنالك عقيدة بوش المسيحية المتصهينة التي تملي عليه ضرورة حماية الدولة العبرية وديمومتها بانتظار قيمومة السيد المسيح وبدء معركة الهرمجدون الموعودة..

وإلى جانب هذا وذاك.. فإن أمريكة، قبل بوش ومعه وبعده، أصبحت مطية للوبي اليهودي، وغدت مصالح إسرائيل وأمنها القومي أشد إلزاماً للسياسات الأمريكية من مصالح أمريكة نفسها وأمنها القومي..

فلا حول ولا قوة إلا بالله..




والخطأ منا
نحن المسلمين!!

أكان على العرب والمسلمين، أن ينتظروا عشرات السنين لكي يجيء خصومهم ومستعمروهم وأعداء دينهم من الغرب، فينقبوا في الأرض، ويكتشفوا الذهب الأسود، لكي يسرقوه، ويعودوا لبيعه لنا بأغلى الأثمان، وللتحكم بمصائرنا ومصائر العالم، من خلال السيطرة على منابع خزين أسطوري شاءت حكمة الله أن تضع نسبته العظمى في ديار العرب والمسلمين؟!

وليعذرني القارئ الكريم إذا تذكرت عبارة فاجرة طالما ردّدها الغربيون بخصوص هذا الخزين، فناقل الكفر ليس بكافر، تلك هي **(أن الله أخطأ ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ في جعل النفط بين أيدي وتحت أرجل أقوام لا يستحقونه، فجاء الغربيون لكي يصحّحوا الخطأ ويضعونه بين أيدي مستحقّيه)!!**

والخطأ منا نحن المسلمين!! و﴿**مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ**﴾.. تلك هي المعادلة القرآنية التي لا جدال معها ولا محاباة.. ولقد صنعنا نحن المسلمين حكاماً ومحكومين، عبر تاريخنا الوسيط والمعاصر، سوءاً كثيراً، إحدى حلقاته هي هذه التي نتحدث عنها، ونكتوي بنارها صباح مساء، فكان لابدّ من تلقّي الجزاء العادل لأنه بالضرورة، وبكل المعايير، من جنس العمل..

ولقد طالما نبّهنا الخطاب القرآني، بل أمرنا أمراً، عبر سوره، ومقاطعه، وآياته البيّنات، أن نسير في الأرض وأن ننقّب فيها.. ألّا نكتفي

باختراق تاريخها والإفادة من سننه ووقائعه ونواميسه، بل وبموازاة هذا كان علينا أن نخترق جغرافية العالم، لكي نكتشف سرّها المكنون، وكنوزها المذخورة، التي أودعها الله سبحانه فيها، وحدّثنا في كتابه العزيز عنها، وأمرنا أن نحسن استخراجها وتوظيفها، وقال لنا المرة تلو المرة: إنها قد (سخّرت) لنا ابتداء، وأننا (مستخلفون) عليها من أجل أن (نعمّر) العالم، ليس فقط لجعله صالحاً (للعبادة) كمشروع حضاري يجعل كل جهد تنموي أو عمراني تقرّباً إلى الله سبحانه وتعبداً له جل في علاه، وإنما أيضاً لنكون الأمة الوسط التي أريد لها أن تكون في سقف العالم، لا في أسفله، قائدة لمسيرة البشرية وشاهدة عليها..

يكفي ـ في عجالة كهذه ـ أن نتذكر ـ فقط ـ سورة بكاملها باسم سورة الحديد، وهي تسمية تحمل مغزاها، وتنتهي في مقاطعها الأخيرة بهذه الآية البيّنة الحاسمة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

والخطاب يحمل دلالاته بوضوح تام: فليس ثمة تحقيق للقسط بين الناس، وليس ثمة حماية للقيم الإيمانية التي جاءت بها الرسالات كلها في هذا العالم، وليس ثمة فرصة للأمة الإسلامية التي اؤتمنت على هذا كلّه، إن لم تتحقق بالقوة والعزّة، من خلال اختراق قشرة العالم، واستخراج طاقاته المذخورة، ليس فقط من أجل أن تحصّن نفسها ومقدراتها في مجابهة الطاغوت، وإنما أيضاً لتنمية وصيرورة نشاطها العمراني..

لقد غفلنا عن هذا كلّه، فكان هذا الذي كان.. ليس مع النفط فحسب، وإنما في السياقات كافة.. ولا حول ولا قوة إلّا بالله!!



يا.. بلاش

أعلنت سلطة الاحتلال الأمريكي للعراق عن دفع تعويض قدره ألفان وخمسمئة دولار أمريكي عن كل (عراقي) يقتل وهو يقوم بمهمة مجابهة أعمال المقاومة أو المندسّين عليها من هنا وهناك.

بينما كان التعويض الذي قدمته ليبية لضحايا (لوكربي) يبلغ عشرة ملايين دولار للقتيل الواحد!

ألا يعكس هذا واحدة من أكثر حلقات السوء في حياتنا العربية والإسلامية المعاصرة؟

أن تبلغ القيمة المالية للقتيل الأجنبي ما يزيد على أربعة آلاف ضعف بالمقارنة مع قيمة القتيل العربي أو المسلم؟!

هل ثمة أمة رخص دمها، وهانت على نفسها وعلى الآخرين، إلى هذا الحدّ المثير للضحك والبكاء، كما رخص دم العربي والمسلم؟

لقد رخص الدم الإسلامي على الخصوم والأعداء، لأنه قبل هذا رخص على المسلمين أنفسهم حيث قتل بعضهم بعضاً، وذبح بعضهم بعضاً، وجاءت القيادات المعاصرة لكي ترفع السكين في مواجهة رعاياها الذين لا يدينون لها بالطاعة، لهذا السبب أو ذاك، فتحصدهم صباح مساء.

وسيطرت على أرواحهم محبة الدنيا وكراهية الموت، وهذا أول الوهن الذي يقود إلى الجبن والهزيمة والمذلّة، وإيثار السلامة، والاستعداد للخيانة، حينذاك يمكّن لعدوهم في الأرض، ولسكّينه من احتزاز رؤوسهم كالأغنام.

وعجزوا عن فهم مطالب القرآن المؤكدة بضرورة أن يكونوا حاضرين في قلب العالم الذي سخر لهم لكي ينقبوا في الأرض، ويكشفوا عن قوانينها، ويستخرجوا طاقاتها المذخورة، ويحموا دماءهم وأعراضهم وإيمانهم بالإعداد التقني الذي لا يغفل لحظة واحدة عن مواصلة الصعود إلى مستويات جديدة من القوة، كالذي يفعله الغربيون وأكثر.. إن الآية الواردة في سورة الحديد، بل اسم السورة نفسها، واضحة تماماً في مدلولها، وكذلك المقاطع الخاصة بذي القرنين، وسليمان وداود **(عليهما السلام)**، فضلاً عن آية الإعداد التي يعرفها الجميع ولا يكاد يعمل بها الجميع!

وقعد المسلمون عن الدعوة إلى الله في ديارهم، فتركوا الساحة للخصوم يصولون فيها ويجولون ويزدادون قوة ومنعة وانتشاراً، حتى إذا دقت ساعة الحسم كان هؤلاء الخصوم مخلب القط الذي يمزق به الأعداء الخارجيون جلود المسلمين، والسكين التي يحتزّون بها رقابهم، فتكون الداهية التي تضع أبناء هذا الدين في طاحونة الموت، فيطبق عليهم الجزار وأتباعه من الخارج والداخل، فتنزف الدماء أنهاراً، ويكون هذا الذي يعرفه الجميع.

إننا نتذكر جميعاً، تحت وطأة إحساس قاسٍ بالقهر والضياع، كيف أن اليهود كانوا يبادلون أسيرهم الواحد بعشرين أو خمسين أو ألف أسير عربي مسلم، بل إنهم كانوا يتنازلون عن حشود الأسرى والمعتقلين مقابل استرداد جثة قتيل يهودي واحد.

ونتذكر أيضاً كيف أن أمريكة كانت ولا تزال، تقيم الدنيا وتقعدها، إذا اختفى لها رجل واحد، وكيف أنها تتخذ كل الإجراءات المشروعة وغير المشروعة، وتبذل بسخاء أسطوري الكثير من المال والمتاع من أجل استرداده.




في «العولمة»: ملاحظات ضرورية

ابتداءً يجب التأكيد على أن (العولمة) بصفة عامة، تنطوي على طبقتين: التقنيات والخلفيات الرؤيوية أو الفكرية.

فأما التقنيات فهي معطيات محايدة لا تشكل أي تقاطع مع قيم التصوّر الإسلامي وثوابته العقدية أو التشريعية أو السلوكية، إلّا أن توظيفها في حمل الخلفيات الرؤيوية والفكرية، وإرغام الآخر على قبولها والتسليم بها والانخراط في نسيجها هو الذي يتقاطع.. وبكل تأكيد..

ذلك أن العولمة بوضعها الراهن تستهدف اختراق العالم وفرض النموذج الغربي والمصلحة الغربية المتمركزين في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وانسحاب المركزية الأوربية إلى الساحة الأمريكية.

أما النموذج الغربي الذي تسخّر له العولمة الثقافية والسياسية، فهو نموذج مادي علماني يتقاطع ـ ابتداء ـ مع المنظور الإسلامي للكون والعالم والحياة، ولوظيفة الإنسان في الأرض.. وأما المصلحة الغربية التي تسخر لها العولمة الاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية والسياسية، فهي تستهدف تفكيك الدول، وابتزاز الأمم والشعوب، وتسمين العجل الذهبي الأمريكي.

ها هنا في السياقين الثقافي والاقتصادي، بآلياته العسكرية والسياسية، يكون التقاطع، ليس فقط مع العقيدة الإسلامية، وإنما مع عالم الإسلام

الذي يتعرض الآن، لواحدة من أبشع عمليات التفكيك والتدمير والابتزاز في تاريخ البشرية.

إن العولمة، لو أتيح لها أن تتحقق في عالم تحكمه قطبيات شتى، لكان الحال غير الحال، ولربما استطاع عالم الإسلام أن يجد ممرات ممكنة للتوظيف والإفادة من ظاهرة اختزال الكرة الأرضية إلى قرية صغيرة يمارس فيها التناقل السريع المدهش على كل المستويات.

ولكن الذي يحدث هو أن النظام العالمي الجديد ذا القطبية الأحادية، يقود بالضرورة إلى تحويل الظاهرة إلى أداة ناجزة لخدمة القطب الأحادي الأمريكي، وجعل ضرع العالم يدرّ في فمه لكي يزيده غنى وتحكماً وجبروتاً، بينما العالم الثالث، وليس عالم الإسلام وحده، يئن من الجوع والتخلّف والابتزاز، ويخضع لواحدة من أبشع عمليات إفراغ الأمم والشعوب والدول من حيثياتها وخصوصياتها، بل من الحدود الدنيا لمصالحها كذلك!

ومخطئ من يقول بإمكان قبول الإسلام للعولمة وتسليمه بمقولاتها، ذلك أنها، بوضعها الراهن، الذي توظف فيه لرؤية ومصلحة النظام الدولي الجديد القائم على القطبية الأحادية، والذي تتحكم فيه ـ عبر المديات الزمنية الراهنة على الأقل ـ الولايات المتحدة الأمريكية..

هذه العولمة تريد أن تختزل العالم، تضغطه، تسحبه، بعد إعادة صياغته، ليكون ساحة طيّعة لمطالب الرؤية الثقافية والمصلحية للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا واضح تماماً فيما يحدث على الأرض.. في الميدان كما يقولون، فلا يتطلب جدلاً أو نقاشاً لتأكيد حضوره.

أما الإسلام فهو نظام عالمي.. شريعة أممية.. تمضي لخطابها التحريري إلى الإنسان في العالم كلّه: تحرّره من كل صيغ الاستلاب

والصنمية، وتمنحه حرية الاعتقاد دونما قسر أو إكراه.. هذا إلى أنها لا تصادر خصوصيات الشعوب وثقافاتها، بل تمنحها الفرصة للتحقق والعطاء.

إن حضارة الإسلام هي حضارة (الوحدة والتنوع)، وقد قدّم التاريخ الإسلامي في نسيج فعالياته الحضارية نموذجاً حيوياً على التناغم بين هذين القطبين اللذين ارتطما وتناقضا في العديد من الحضارات الأخرى، ووجدا في الإطار الإسلامي فرصتهما للتلاؤم والانسجام.

فالحضارة الإسلامية هي ـ من ناحية ـ حضارة الوحدة التي تنبثق عن قاسم مشترك أعظم من الأسس والثوابت والخطوط العريضة بغض النظر عن موقع الفعالية في الزمن والمكان، وعن نمطها وتخصّصها. وهي ـ من ناحية أخرى ـ حضارة الوحدات المتنوعة بين بيئة ثقافية وأخرى في إطار عالم الإسلام نفسه، بحكم التراكمات التاريخية التي تنتج خصوصيات معينة لكل بيئة تجعلها تتغاير وتتنوع فيما بينها في حشود من الممارسات والمفردات.

إنها جدلية التوافق بين الخاص والعام تلك التي أكدها القرآن الكريم في الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ وهو يتحدث عما يمكن تسميته بالأممية الإسلامية التي تعترف بالتمايز بين الجماعات والشعوب والأمم، ولكنها تسعى لأن تجمعها في الوقت نفسه على صعيد الإنسانية. وهي محاولة تختلف في أساسها عن الأممية الشيوعية التي سعت ـ ابتداء ـ وبحكم قوانين التنظير الصارمة، إلى إلغاء التنوع ومصادرته، وإلى تحقيق وحدة قسرية ما لبثت أن تأكد زيفها وعدم القدرة على تنفيذها تاريخياً بمجرد إلقاء نظرة على خارطة الاتحاد السوفياتي (المنحلّ) حتى قبل حركة (البريسترويكا) والرفض المتصاعد الذي جوبهت به الأممية الشيوعية من قبل حشود الأقوام والشعوب التي تنتمي إلى بيئات

ثقافية متنوعة، ومقارنة هذا بما شهده التاريخ الإسلامي من تبلور كيانات ثقافية إقليمية متغايرة في إطار وحدة الثقافة الإسلامية وأهدافها المشتركة، يتبين مدى مصداقية المعالجة الإسلامية لهذه الثنائية.

إن ما فعله الاتحاد السوفياتي في فرض أمميته على الشعوب التي خضعت لمقولاته الماركسية، تفعله أمريكة اليوم، مع تغاير زاوية الرؤية.. ولكن المغزى هو نفسه.. والسؤال هو: هل بمقدور هذه الحالة (الاستثنائية) القائمة على الاحتواء القسري أن تدوم؟

على أية حال، فإن البنيان التحتي للعولمة الراهنة يقوم على المادية، ورفض الغيب، والتنكر لمعطيات الوحي، وإقامة جدار عازل بين السماء والأرض، بينما في الإسلام يلتقي الوحي بالوجود، والله سبحانه بالإنسان، والروحي بالمادي، ويصير التعامل مع الكتلة، وتنميتها وتطويرها، مهمّاً وضرورياً كالصلاة والصيام.

إن عالمية الإسلام، كما يرى العديد من مفكري الغرب أنفسهم (مارسيل بوازار وروم لاندو ورجاء غارودي وموريس بوكاي وغيرهم) هي الجواب الوحيد لإعادة التوازن إلى الإنسان والعالم.. وربما إعادة بناء العولمة نفسها، بما يجعلها في خدمة البشرية على امتدادها، وليس حكراً على الإمبراطورية الأمريكية المتجبرة وحدها.

إن المشكلة «كونية» كما يقول غارودي في (وعود الإسلام)، ولابدّ للجواب أن يكون كونياً.

أما تقنيّات العولمة فأمرها يختلف، وبخاصة في مجالي المعلوماتية والإعلامية، حيث الانفجار الأسطوري في آليات التواصل السريع وتناقل المعلومات، ورفع الخطاب الإعلامي إلى ملايين الناس عبر اللحظة الواحدة.

ونحن نشهد دقيقة بدقيقة، من خلال الزائر اليومي المتربّع في دورنا ومؤسساتنا ودوائرنا ومنتدياتنا ومقاهينا، ما يمكن للفضائيات والإنترنيت أن يفعلاه.

إنهما يفعلان الكثير، ويقدمان الكثير، وهذا ـ بحدّ ذاته ـ يمثل تحدّياً لكل المعنيين بالهمّ الإسلامي: وهو أن يحسنوا التوظيف، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لتغطية ساعات أكثر من الزمن التلفازي، لكي يطردوا بعملتهم الجيدة، العملات الرديئة التي تغطي معظم القنوات، والتي تنفث سرطانها المسموم، على كل المستويات وفي كل دار، وتدمّر بدقائق معدودات، ما يمكن أن يبنيه الجهد التربوي في أشهر وسنوات.

نعم.. مرة أخرى.. فليس أمامنا خيار.. وإن لم نحسن التوظيف، خسرنا ما تبقى من قيمنا وثوابتنا.. وبالعكس، فإن إدارة الصراع الثقافي بشكل جيد، وفي المساحة الواسعة المتاحة لنا، يمكن أن يحقق الكثير.




(٣) ثغرات
في إدارة الأزمات

منذ زمن الصدمة الاستعمارية المقترنة بتفوق الحضارة الغربية، وبخاصة في مجال العلم والتكنولوجيا، أصبحت الأمة المسلمة ممثلة بقياداتها ونخبها وعلمائها وساستها ومفكريها، تتعامل مع الوقائع والتحديات بمنطق ردّ الفعل، وليس بالفعل ابتداء.

ومعروف أن الرابح في لعبة الفعل وردّ الفعل هو من يبدأ أولاً، تماماً كما يحدث في ساحة الحرب.. فأنت عندما تشكل فعلك بنفسك، تأخذ زمام المبادرة في ضوء إدراك شامل لحيثيات الطرف الآخر، وحجم التحدي، وطبيعة الواقعة، ونبض اللحظة التاريخية.

أما عندما تتحرك، متأخراً بعض الشيء، بالردِّ على فعل ما، فإنك تضع نفسك في الزاوية الضيقة التي تغيب فيها الرؤية الدقيقة، والقدرة بالتالي على تحديد الموقف الملائم للحالة التي تتعامل معها.

اخترنا الحل الثاني:

في معظم مواقفنا عبر قرون الانكسار الحضاري، اخترنا الحلّ الثاني، فمنحنا خصمنا ـ ابتداء ـ الفرصة للإجهاز علينا، أو في الأقل، إلحاق الهزائم الفادحة بنا.. سواء كان الطرف الآخر «خارجياً» أو «داخلياً» الأمر الذي يفسر في الحالتين ما عانته الأمة وقياداتها وأحزابها ونخبها وتنظيماتها من هزائم وخسائر وانكسارات.

لقد ملأت ردود الأفعال المساحة الأكبر في واقعنا المعاصر، هاهنا حيث يرغمك الآخر على العمل في البيئة التي اختارها، وعبر اللحظة التي حددها هو، ومن خلال جهد مرتجل، وربما فوضوي، لم يحسب حسابه لأي شيء، ولا رسم الخطط والسياسات ومناهج العمل التي تضع في حسبانها كل أقطاب الفاعلية التي يتميز بها الآخر، والتي تجعلنا نمضي إلى الهدف برؤية واضحة غير مدخّن عليها وبأكبر قدر ممكن من الضمانات.

والآخر.. هو الذي يبدأ:

ودائماً كان الآخر ـ في الداخل والخارج ـ هو الذي يختار نقطة الانطلاق، وتوقيتها، هو الذي يبدأ.. هو الذي ينطلق أولاً في المسارات التي يريدها فيجعلنا نركض وراءه إلى حدّ اللهاث، فنهدر طاقاتنا ولا نكاد نصل إلى شيء، بينما يكون هو قد تركنا وراءه لمسافات طوال، ووصل خط النهاية، وأعلن فوزه بشهادة الحكام والمراقبين.

دائماً كنا ننتظر من الآخر أن يبدأ، لكي نحدد بعدها، وأحياناً بسرعة لا تقرّها طبائع الأشياء، ردودنا على فعله، وفي معظم الأحيان كانت هذه الردود المستعجلة، المتشنجة، غير المدروسة، والتي لا تحسب حساباً دقيقاً لشيء، تجيء على غير ما نريد ونتمنى، فما تزيدنا إلا انكساراً، وتخلفاً، وضياعاً، وهدراً للطاقات والفرص التاريخية.

١٩٦٧م.. وسيلة إيضاح:

وبعد أن تأكد (الآخر) وأتباعه في ديارنا، من خطئنا الفادح هذا، والخطأ، كما يقول السياسي الفرنسي (تاليران): «أكبر من الجريمة» مضوا خطوة أخرى، فأخذوا يدرسون (مسبقاً)، طبيعة ردّ الفعل الذي ستتخذه قياداتنا، إذا مارس الطرف الآخر فعلاً معيناً، وفي ضوء ذلك يحددون سياستهم، أو يوجهون ضربتهم فتجيء أكثر ضماناً وأشد فتكاً.

إنهم «بالفعل» كانوا يوظفون التاريخ لصالحهم، ونحن بردود الفعل كنا نخسر التاريخ. وقد تكون مأساة حرب الـ ١٩٦٧م وسيلة إيضاح بالغة المصداقية لهذا الذي نقول. لقد كانت بتعبير رجال القانون «الجريمة الكاملة» التي ارتكبناها بحق أنفسنا، فكان أن أفلتت حركة التاريخ من بين أيدينا، بينما عرف الخصم كيف يمسك بها.

لقد اخترنا أن يبدؤوا «الفعل» ثم جاءت مجابهتهم بردود الأفعال فكانت المأساة.

لكأن الفارق بين الموقفين هو الفارق بين الفعل والعاطفة. في الأول يستجاش العقل بهدوء لتقديم كل ما عنده من أجل تطمين المصالح العليا للأمة ومنحها الضمانات والقدرة على التنامي والاستمرار.

وفي الثاني تشتعل النار في العواطف، فنرتجل الأفعال ونستعجل الثمار، ويدخن على الوقائع والحقائق بالضجيج والصخب والصراخ، فلا تكون النتيجة إلا المزيد من الهزائم والانكسارات.

«بابا يقولك يا بطل هات لي انتصار!!»:

المغنّي عبد الحليم حافظ كان يرفع عقيرته وسط دخان الحرب وهدير المدافع والدبابات والقنابل الإسرائيلية، متوسلاً بالمقاتل المصري: «بابا يقولك يا بطل هات لي انتصار!!».

أي انتصار.. حتى ولو كان على سبيل التمثيل وخداع الذات.. انتصار.. وكفى.. فلعله يملأ شبراً أو ذراعاً في هوة اليأس التي حفرت خنادقها المخيفة في الذات العربية صبيحة الهزيمة.. هذا بينما كان الإسرائيليون ـ دونما أغانٍ أو أناشيد ـ ينطلقون إلى حافات القناة، ويحتلّون الجولان، ويدخلون المسجد الأقصى.

والانتصار الذي توسّل المغني أن يجيئه به المقاتل المصري، ما كان له

أن يجيء حتى ولو كان انتصاراً جزئياً تافهاً. . والسبب أن هذا المقاتل الذي ضرب به المثل بالشجاعة الفائقة والقدرات القتالية، والإيمان الذي يصنع المستحيل، قد وضع ـ ابتداء ـ في المعادلة الخاطئة، وبدلاً من أن يبدأ هو الفعل، أرغم ـ لسبب أو آخر ـ على أن يرد على الفعل فكانت ما أسماه الصحفي المصري المعروف (وجيه أبو ذكرى): (مذبحة الأبرياء) وهو عنوان الكتاب نفسه الذي تحدث فيه عن تفاصيل حرب الـ ١٩٦٧م.

أفلا نتعلم من الرسول القائد ﷺ؟:

وكان الرسول القائد ﷺ هو الذي يبدأ الفعل في معظم الأحيان، إلّا إذا أرغم على الرد ـ عبر حالات استثنائية ـ وكان وهو يأخذ المبادرة من الخصم، يعرف كيف يوظف التاريخ، فيحسب كل الاحتمالات الممكنة، ويحدّد الأبعاد المنظورة لقوى العدو، ويرسم الخطط بتفاصيلها الدقيقة، من أجل أن تجيء حركته وهي متحققة بأكبر قدر ممكن من الضمانات.

وكانت النتائج في معظم الأحيان لصالح المسلمين:

هزمت الوثنية، وصفي وجودها في جزيرة العرب، وقلمت أظافر اليهود، وتم فك الارتباط بين القبائل العربية النصرانية في الشمال وبين سادتها البيزنطيين. . ومُهد الطريق لحركة الفتوحات الإسلامية التي نقلت الإسلام إلى مرحلة العالمية. وبعدها جاء الراشدون (رضي الله عنهم) لكي يتسلموا القيادة، ويتعاملوا مع التاريخ وفق الأسلوب نفسه: أن يبدؤوا الفعل ما وسعهم الجهد، وأن يرغموا خصمهم على خيار واحد هو ردود الأفعال بكل ما تنطوي عليه من أخطاء وسلبيات. . فكان هذا الذي كان. .

فن دراسة المستقبل:

ومضى الغربيون خطوة أبعد من مجرد البدء بالفعل، فأخذوا يمدون أبصارهم صوب المستقبل القريب والبعيد، لدراسة وتفحص وتحليل كل

الاحتمالات الممكنة التي يتمخض عنها، إذا اجتمعت جملة محددة من الشروط.. والنتائج المحتملة أو المؤكدة التي يمكن أن تقود إليها.. وفي ذلك ـ أيضاً ـ يجيء الرد المدروس بعناية والمحسوب حسابه وفق خطة استراتيجية توظف معطيات الحاضر، لمعرفة ما يمكن أن يأتي به المستقبل.

بل إنهم أنشؤوا مراكز للدراسات المستقبلية، وأقساماً في معاهدهم وجامعاتهم أطلقوا عليها اسم (علوم المستقبل).

ونحن، قيادات وأحزاباً ونخباً ومفكرين وعلماء، لا زلنا ننظر إلى أسفل أقدامنا، ونجيل أبصارنا في المدى المنظور لا نكاد نتجاوزه إلى ما يمكن أن ينبئ أو يتمخض عنه، إلا قليلاً.

ومن تعلم لغة قوم أمن مكرهم، كما يؤكد رسولنا ﷺ، وينسحب هذا على ضرورة أن نعرف جيداً كيف يفكر الطرف الآخر، وكيف يتحرك، وكيف يعمل.. وحينذاك فقط يمكن أن نكسر الحلقة المفرغة، وأن نخرج إلى الفضاء الواسع الذي يمنحنا الرؤية الصائبة لمطالب اللحظة التاريخية، وأول هذه المطالب وأشدها إلحاحاً هو أن نبدأ أفعالنا بأنفسنا، فنأخذ زمام المبادرة، ونقطع بذلك الطريق على الخصم في الداخل والخارج، بوضعه في الزاوية الضيّقة التي تحدّ من قدراته التكتيكية والستراتيجية معاً، على صياغة مصائرنا كما يريد هو، لا كما نريد نحن.

غياب الوعي السياسي:

ثمة ضرورة أخرى لا تقل أهمية في إدارة الأزمات، تلك هي التحقق بقدر عالٍ من الوعي السياسي الذي يدرك تماماً أبعاد اللعبة، وأطرافها، ومقاصدها، وقواعدها، من أجل أن يدخل الساحة وهو يملك الشروط التي تمكنه من الفوز.

وقياداتنا ـ في معظم الحالات ـ كانت تملك عمقاً فكرياً ووعياً عقدياً، لكنها ما كانت تملك معهما الخبرة السياسية التي تمكنها من تحويل مطالب الفكرة ومعطيات العقيدة إلى أمر واقع قدير على التحقق والفاعلية، بما أن السياسة هي فن الممكن والأداة الفاعلة في تحويل الرؤى والقناعات إلى أمر واقع، وتنزيلها في مياومات الناس وخبراتهم الواقعية.

هذه هي حلقة الضعف الأخرى في تكوين وممارسات القيادات العاملة في الحياة الإسلامية المعاصرة.. إنهم لا يعرفون جيداً كيف يتعاملون مع الحالات المتغيرة برؤية سياسية نافذة تعرف كيف تجابه التحديات، وتتعاطى مع الوقائع، وتحاور الأطراف الأخرى بالصيغ التي تمكنها من أن تكسب أكثر وتخسر أقل إذا صحّ التعبير.

والذي حدث أننا، في غياب وعينا السياسي أو ضعفه، كنا في معظم الحالات نربح قليلاً ونخسر كثيراً، وعلى كل المستويات المادية والمعنوية معاً.

إنهم.. يكيدون.. فلماذا لا نكيد؟:

إننا أمة لا تكاد تعرف المكر والكيد والخداع والدهاء، وهي جميعاً من مطالب وضرورات العمل السياسي.

والتاريخ وقواعد الاجتماع تعلمنا أننا إذا تركنا فراغاً ما في ممارساتنا عبر هذا المجال أو ذاك، تقدم الطرف الآخر فملأه، بما يريد هو لا بما نريد نحن.

وتاريخنا الحديث والمعاصر مترع بالكيد والمكر والخداع الذي تلقيناه من الأطراف الأخرى، والذي ألحق بنا من الخسائر والانكسارات ما لم يكد تاريخ البشرية يشهد له مثيلاً.

رغم أن كتاب الله يدعونا في أكثر من مكان إلى المكر والكيد، ورغم أن الله جلّ في علاه نسب المكر والكيد إلى نفسه فيما يوحي بضرورة أن يمكر المؤمنون أنفسهم ويكيدوا:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

ورغم أن رسول الله ﷺ قال: (الحرب خدعة). ومع ذلك فإن هذه التعاليم القرآنية والنبوية لم تنعكس على الواقع إلّا قليلاً.

خذوا حذركم:

وعلى سبيل المثال، فإننا كمؤمنين نعرف بداهة أن الذي ينصرف إلى الصلاة كمن يدخل خيمة الله سبحانه ويحظى بحمايته، وأنه إذا مارس صلاته في سوح الجهاد يكون كمن دخل حماية الله سبحانه مرتين وحصل على ضمان مضاعف ـ إذا صحّ التعبير ـ ومع ذلك، وفي قلب هذه الحماية الإلٰهية المزدوجة، ينبّه القرآن الكريم المجاهدين، وهم يؤدون صلاتهم أن يأخذوا حذرهم: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ولن تتنزل معونة الله سبحانه وحمايته، ونصره لمن لا يعرف كيف يكيد ويمكر، ويلمّ بأبعاد الحالة كافة، ويأخذ بالأسباب.

لكأن هزيمة المسلمين في معركة أحد، جاءت وسيلة إيضاح لهذه الحقيقة، فهم عندما راحوا يتساءلون، مندهشين، كيف نهزم ونحن جند

رسول الله الموعود بالنصر من السماء؟ كان جواب القرآن الحاسم القاطع: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾.

أين برامج العمل في مجابهة الأزمات؟:

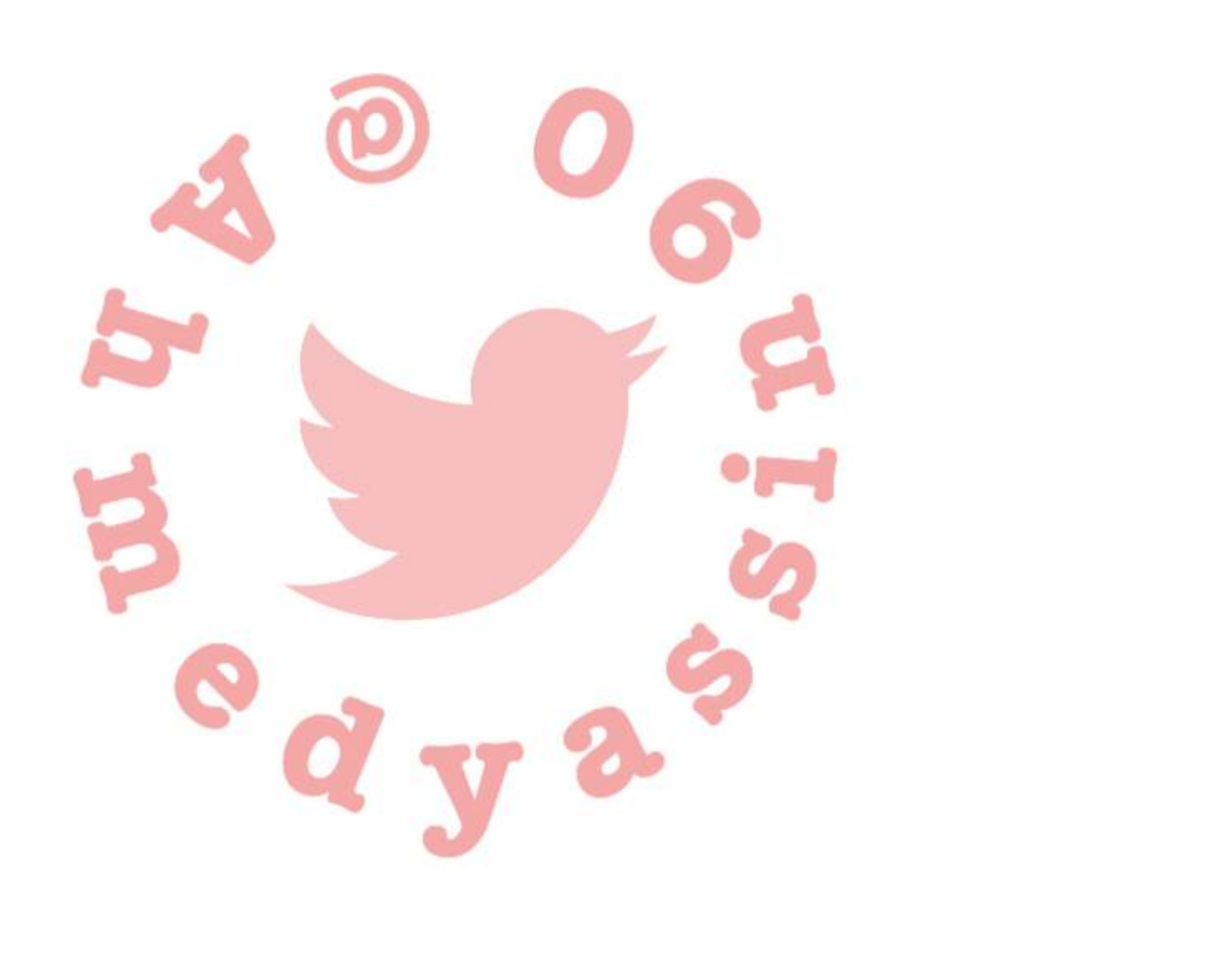
المجال لا يسمح بالاستفاضة، وإنما هي مجرد إشارات أو معالم على الطريق، لابدّ من وضعها في الحسبان إذا أرادت قياداتنا ـ فعلاً ـ أن تحسن إدارة الأزمات التي تطحننا صباح مساء، والتي تزداد شراسة يوماً بعد يوم، ببرامج عمل فاعلة، قديرة على الخروج بالأمة، والجماعات الإسلامية، من هذه الأزمة أو تلك، بسلام..




فهرس الموضوعات


@Ahmedyassin90




@Ahmedyassin90

تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

